التعريب

الأستاذ الدكتور صالح عبد الرحمن العذل
رئيس مدينة الملك عبد العزيز
للعلوم والتقنيـة

مقدمــــة

عندما نتمعن في اللغة العربية وصفاتها الحضارية ، يمكننا القول أن اللغة العربية تتميز عن غيرها من اللغات العالمية ، في استمراريتها وثبات مقوماتها الأساسية ، فهي كما كانت عليه قبل أكثر من أربعة عشر قرن تقريبا ، أي منذ نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ . ولعل من أسباب هذه الاستمرارية ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي ، وخاصة أنها لغة القرآن الكريم .. وقد ثبتت أسس اللغة ومصطلحاتها الرئيسية هذه العلاقة التاريخية ، كما أن اللغة العربية انطلقت لتصبح لغة عالمية مع إنتشار الإسلام أولا ، ومع إنتشار العلوم في العصر الإسلامي ثانيا حيث أن لهذين الإنتشارين أكبر الأثر على اهتمام العرب بلغتهم من ناحية ، وعلى تقبل الأمم الأخرى لمصدر التأثير من ناحية أخرى . ومع تقلص نفوذ الدولة الإسلامية العربية ، وتقلص نشاطاتها العلمية ، نجد أن اللغة العربية ذاتها : نموها ، وانفتاحها للحضارات الأخرى ، وللعلوم المختلفة ، قد تقلص كذلك ، مما جعل فترة الرومانتيكية فيها تنتعش وتمتد لفترة طويلة وغير مستحبة لما لذلك من الآثار السلبية على اتجاهات الفكر العامة . ومع ازدياد النفوذ الغربي الذي تدعمه تطورات علمية وصناعية مختلفة إضافة إلى الفكر أصبح التأثير على اللغة العربية باتجاه معاكس .. مما تسبب في :

١ - دخول فيض متواصل من المصطلحات الغربية (الإنجليزية والفرنسية خاصة) إلى اللغة العربية مما جعل - ولا يزال - الدارس العربي يواجه صعوبة اللحاق بهذا الفيض . ولقد تعدى أثر هذا الفيض ليصل إلى الغاية التي تقبل الجديد - ان سهلت مداولته .

٢ - أصبحت نتائج التأثير تخلق فجوة حضارية وعلمية ولغوية بين الدول العربية ، وذلك لاختلاف مصادر هذا التأثير . فالدول العربية التي وقعت تحت تأثير الفكر الفرنسي أصبحت لا تتقبل إلا المصطلح الفرنسي وما يرافقه ، أما تلك الدول التي وقعت تحت النفوذ البريطاني فأصبح التأثير للغة الإنجليزية .

ومع ازدياد الفجوة في التقدم العلمي بين الدول المؤثرة من ناحية والدول العربية من ناحية أخرى .. أصبح الناتج العلمي والتقني سائرا في اتجاه الدول العربية ، وازداد تقلص اللغة العربية .. وانفتاح الباحث العربي نحو اللغات المؤثرة من أجل الحصول على المادة العلمية والنتائج الحديثة المطلوبة .. وبالرغم من عدم وجود ضرورة إلى تعلم لغة ثانية أو ثالثة لدعم البحث والدراسة ، إلا أن لاهمال تطوير اللغة العربية واستيعابها للمصطلحات العلمية عند ظهورها ، الأثر السلبي الذي يبدو واضحا في عدم توفر العديد من المناهج العلمية ومصادرها باللغة العربية ، وما لذلك من آثار غير حميدة على تطور مناهج التعليم العالي ومدى تقبل الطالب وفهمه لها .. وبالتالي لما يقدمه من ناتج مهني ووظيفي واجتماعي . وهنا تبدو أهمية تعريب العلوم ومدى تأثيره على تطوير الفرد على اعتباره العنصر الأساسي للمجتمع ، وبالتالي مدى إنعكاس هذا التطوير على المجتمع ككل وعلى اتجاهاته الحضارية والعلمية .

الأسس التي يقوم عليها التعريب :

يعتمد التعريب على أسس رئيسة – إذا أردنا أن يكون التعريب هادفا وفعالا . ومن هذه الأسس :

١ – توفر المواد المطلوب تعريبها حسب الأولويات .

٢ – توفير الوسائل اللازمة لانجاز مهمة التعريب ، منها :

(أ) المصطلحات العلمية المعتمدة .
(ب) الكفاءات ذات الخبرة المتخصصة لغويا وعلميا .
(ج) اعتماد التقنية والبرامج الملائمة .
(د) اعتماد مدة زمنية مناسبة .
(هـ) اعتماد الجهاز الإداري اللازم للإشراف على التنفيذ والتمويل والتنسيق .
(و) اعتماد وسيلة توزيع الناتج المعرب .

١ – توفير المواد اللازم تعريبها :

لا نعني هنا توفير الكتاب أو النص الأجنبي ، ولكن الموضوع الذي له أهمية خاصة في دعم حركة البحث العلمي في الوطن العربي .. فيجب أن يكون الاهتمام على اعداد أولويات في ضوئها تعمل عملية التعريب ، بحيث تكون هذه الأولويات مبنية على أمور منها :

١ – النقص في توفر المادة العربية في ذلك الموضوع .

٢ – أهمية الموضوع ذاته في تنفيذ خطط التنمية .

وإذا نجحنا في تحديد ذلك نكون قد تخصلنا من عبء بذل الجهد في نقل ما لا فائدة له مما نراه متواجدا حاليا وبنسب كبيرة في المكتبات العربية ، خاصة تلك الروايات والقصص الرخيصة .

٢ – توفير الوسائل اللازمة لإنجاز مهمة التعريب :

إن من أهم الوسائل المساعدة في تنفيذ عملية التعريب بنجاح توفر المصطلح العلمي العربي

الموحد ، وكذلك توفر الأيدي الخبيرة المختصة في نقل المعرفة من اللغة الأصل إلى اللغة العربية مستخدمة المصطلح العلمي العربي .. إضافة إلى توافر الخطة العلمية الصحيحة .. حيث أنه للمصطلح العلمي العربي الموحد الدور الهام في تسهيل عملية الترجمة والتعريب ، وفي نشر العمل المعرب على أوسع نطاق .

كما أن ذلك يساعد على التنسيق مع جهات عربية أخرى في تحديد الأولويات والتعاون فيما بينها في عملية التنفيذ بدلا من أن يجبر كل طرف في إنجاز العمل نفسه في حالة استخدامه لمصطلحات محلية .

ومما يساعد في نشر المصطلح الموحد تقنية المعلومات الحديثة وما يرتبط بها من نظم استرجاع واتصالات تدعم نظم خدمات شبكية تساعد على ربط المترجمين والمصطلحين بعضهم ببعض وبالتالي الاستفادة من الناتج المشترك .

كما أن للتقنية الحديثة دور هام (وإن كان لا يزال في أول الشوط) في ترجمة النص الأجنبي إلى العربية .. مما يساعد في الاسراع في عملية سد النقص في المعلومات العلمية التي يعاني منها الطالب والباحث العربي .

والترجمة بصورة عامة هي نقل فكرة من لغة إلى أخرى .. وتعتمد صيغة الترجمة على نوع النص المراد ترجمته ، فالنصوص العلمية قد لا تحتاج إلى جهد مطول لشرح الفكرة إذ أن المصطلحات العلمية تؤدي الغرض إذا ما استخدمت بصورة صحيحة ، غير أن النصوص الأدبية أو القانونية أو السياسية أو الاجتماعية تكون عادة في حاجة إلى شرح للفكرة ، اضافة إلى استخدام المصطلح الصحيح . وعلى الرغم من عدم توفر نظام ترجمة فعال يعتمد بدرجة كبيرة على فهم الآلة لشكل النص العربي المطلوب ، فإن هذا لا يعني أن هناك نقص في اللغة أو الآلة ، بل هناك نقص في ايجاد المعادلات الحسابية اللغوية التي يمكن للآلة فهمها بصورة أدق لكي تتمكن من أن تعطي الجواب الأمثل بالسرعة المطلوبة .

إن استخدام نظام آلي للترجمة - كما هو الحال عليه في الوقت الحاضر - يعتمد على أسلوب ترجمة الكلمة أكثر ، لأن الآلة تعتمد على أسلوب المقارنة وايجاد المقابل . ولا تزال الترجمة الآلية[1] إلى اللغة العربية وبالعكس في مراحلها التطويرية الأولى وذلك لضعف الدراسات اللغوية الحسابية التي تساعد في خلق المعاجم الآلية اللازمة لذلك .. اضافة إلى غياب البرامج التشغيلية الضرورية . كما أن وسائل ادخال النصوص العربية إلى الآلة لا تزال في مراحلها الأولى حيث أنها لا تعتمد على وسائل القراءة الضوئية والتي هي أسلوب ضروري للاسراع في عملية الأدخال ليكون لمشروع الترجمة آليا مردوده المناسب .

لذا فإنه يجب علينا الالتفات إلى أهمية توفير القارىء الآلي للحرف العربي أسوة بما هو متوفر للغة الأوربية ، فإن توفر مثل هذا القارىء سوف

---

(١) أشهر النظم الآلية المعروفة هي : ويدنر ، سيستران WIEDNER, SYSTRAN

يساعد إلى درجة كبيرة في توفير الوقت والجهد والمال في تنفيذ عملية الترجمة ، إذ بدلا من إدخال نص كتاب يتكون من (٥٠٠) صفحة حرفا حرفاً إلى نظام ترجمة آلي (إن وجد) يدوياً ، يمكننا هذا القارىء من إدخال النص نفسه بطريقة المسح الضوئي خلال وقت قصير جدا . وهناك بحوث (وإن كانت بطيئة) في هذا المجال لعلها تحظى بالنجاح قريباً .

وللترجمة الآلية عدد من الاحتياجات حسب النظام المراد تطويره ، فإن كان النظام يهدف إلى ترجمة المصطلحات فقط ، فإن نظام بنك آلي للمصطلحات يعتمد على أسلوب بناء قاعدة معلومات ترابطية (Relational Database) – كما هو الحال عليه في مشروع « باسم » –(*) يؤدي إلى تحقيق الغرض المطلوب .

أما إذا كان المشروع يهدف إلى ترجمة مجاميع من المصطلحات فيجب تطوير نظام استرجاع خاص يساعد على ذلك يسمى « نظام الترجمة السطري Interlinear » غير أن أفضل نظام للترجمة هو النظام الذي يعتمد على قبول نصوص لغوية كاملة ليعيد المقابل باللغة المطلوبة ، ويعتمد هذا النظام على توفر العناصر التالية :

١ – معجم موسع من المصطلحات باللغات المتعامل معها .

٢ – أسلوب آلي لإدخال النصوص المطولة .

٣ – معجم لغوي يحتوي على الصيغ الواجب استخدامها .

(*) سيأتي ذكره لا حقا .

٤ – وسائل تخزين واسعة لاحتواء المعاجم والنصوص .

ان توفر نظام ترجمة آلي تدعمه وفرة المصطلحات العلمية العربية الموحدة ، ووجود قارىء آلي للحرف العربي ، يتطلب أيضاً توفير شبكة اتصالات عربية تربط مراكز ترجمة ومجامع لغة من مختلف الدول العربية والإسلامية (والعالمية ان أمكن) لتساعد في تطوير المصطلح وتحسين نظام الترجمة وتبادل الفائدة . ولكن كل ذلك يعتمد على اعداد الخطة وتثبيت أسسها التي تأخذ في الحسبان عنصر الزمن وتوفير التقنية والمختصين .. فقد يكون في اعتماد جهود مشتركة من القطاع الحكومي والخاص أمر مقبول وإيجابي ، حيث أن هناك رغبة وإمكانية وخطوات مشتركة بين القطاعين في هذا المجال ، علما بأن لمشروع التعريب الحديث آفاق أخرى في تطوير نظم التعليم العام والعالي ، وتوفير وتطوير الأجهزة والبرامج الآلية ، أضف إلى ذلك تطوير اللغة العربية ذاتها واثرائها بالمعاجم والمكانز اللازمة وغير المتوفرة حالياً (وما لذلك من أثر في تحسين نظم وخدمات المعلومات التي يتطلبها المواطن كدارس وكباحث وكمطلع) .

تعـريف التعـريب :

التعريب هو استخدام اللغة العربية في مختلف فروع المعرفة تحدثا وكتابة ، ودراسة وتدريسا ، بحثا وترجمة وتأليفا .

نشأة التعريب وتطوره :

تحدد مراحل تطوير حركة التعريب على ثلاث مراحل هي :

١ - مرحلة العصر الأموي والعصر العباسي حيث ازدهرت حركة تعريب العلوم من اليونان والهند وبلاد فارس إلى اللغة العربية .

٢ - مرحلة الانحطاط الحضاري والهيمنة الأجنبية التي امتدت منذ سقوط الدولة العباسية حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادي . (امتازت هذه المرحلة باهمال النواحي العلمية) .

٣ - مرحلة النهضة الحضارية الحديثة والتي بدأت منذ القرن التاسع عشر الميلادي ولا زالت مستمرة . وتتمثل هذه المرحلة في تنوع التأثيرات الحضارية على المجتمع العربي وذلك بسبب التقسيم السياسي الذي طرأ على المنطقة والمبني على خلق مناطق نفوذ أجنبية بعد إنهيار الدولة العثمانية أو في أواخر مراحلها . ويختلف مد حركة التعريب في أي من البلدان العربية ، في هذه المرحلة ، باختلاف مدة الهيمنة الأجنبية . فنجد أن حركة التعريب أكثر نشاطا في سوريا ولبنان وفلسطين ومصر حيث بدأت في أوائل القرن التاسع عشر ، إلا أنها جاءت متأخرة نسبيا في دول المغرب العربي . ولقد بقيت منطقة الجزيرة العربية خالية من التأثيرات الحضارية الأجنبية لعدم تغلغل النفوذ الفكري الاستعماري فيها .

ومما يجدر ذكره هنا أن التأثيرات الأجنبية لم تعد كما كانت عليه سابقا استعمارية الصبغة ، لأن اتجاهات المجتمع العالمي ، والعربي ضمنا ، هي عملية تقنية .. لذا فإن أي حركة تعريب هي موضوع الحديث ستكون تلك التي تعنى بنقل الناتج العلمي والتقني إلى القارىء العربي لحاجته الماسة إلى ذلك في أي مرحلة من مراحل التطور التي يطمح إليها . وعلى الرغم من وجود من يقول بأن الحضارات الإنسانية تتفاعل مع بعضها وتتأثر ببعضها .. إلا أنه إلى جانب المواد العلمية ستكون هناك حتما جوانب فكرية وفنية وأدبية ستنتقل إلى مجتمعنا . ولكن دعنا نضع الأولويات حسب حاجة المجتمع التي تؤكد على النقص الشديد في المواد العلمية والتقنية المتقدمة في اللغة العربية .

٣ - ضـرورة التعـريب :

للتعريب دوافع عديدة يمكننا ايجازها على النحو التالي :

١ - توفير المادة العلمية للباحث والقارىء والعالم العربي الذي لا يجيد لغة أجنبية أخرى .

٢ - تسهيل فهم المادة على الطالب أو الباحث في حالة كتابتها بلغته .

٣ - الباحث في اللغة العربية يستطيع أن يقدم خدمات أكبر لمواطنيه لأنه ينقل إليهم ويتخاطب معهم بلغة يفهمونها على عكس لو أنه تعلم بلغة أجنبية تجعله يجهل المصطلحات التي يحتاجها للتخاطب ونقل الخبرة .

٤ - التعريب يساعد اللغة العربية على النمو والتطور وينقذها من مرحلة الجمود مما يساعد بدوره على :

* زرع الثقة في المواطن العربي والباحث والعالم

خاصة على اعتبار أن لغته التي تمثل شخصيته لا تقل ثراء عن غيرها من لغات الدول المتقدمة .

* يزيد من توطيد العلاقات الإنسانية بين المجتمع العربي والمجتمعات المتقدمة التي تنقل من لغاتها المواد العلمية المطلوبة .

* يقلل من الاعتماد على الأيدي الأجنبية التي لا تملك الخبرة التقنية العالية .

* يقوي أواصر التعاون بين الباحثين العرب مما يساعد في الاقلال من التكرار في الجهود العلمية .

* حركة التعريب تساعد كذلك في تنشيط قطاع الترجمة والنشر وبالتالي القراءة والبحث .

هذا إضافة إلى أهمية التعريب السياسية ، فتعريب التعليم العالي في جامعات دول مجلس التعاون الخليجية مثلا سيساعد إلى حد كبير في ربط هذه البلدان بعضها ببعض .

٤ - الصعوبات التي يواجهها التعريب :

هناك العديد من الصعوبات التي يواجهها التعريب في عصرنا الحاضر يمكن ايجازها في التالي :

(أ) غياب القرار السياسي أو السلطة القادرة على تنفيذه .

ففي المملكة العربية السعودية مثلا ينص نظام الجامعات على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم فيها ، إلا أن الواقع غير ذلك ، ففي معظم الفروع العلمية لا تتوفر المادة العربية أو قد لا يتوفر الأستاذ الناطق باللغة العربية ، لذا فإن توفير المادة بلغتها الأصلية أصبح ضروريا وبالتالي معوقا لتنفيذ القرار المعني .

(ب) ان حركة الترجمة بطيئة وغير منظمة وغير منسقة ، مما يجعلها عملية شاقة ومكلفة .

(جـ) ندرة تواجد المترجم المختص الذي يجيد اللغة العربية اضافة إلى اتقانه للمادة العلمية المراد التعريب فيها .

(د) نقص المميزات التي يكافأ بها المترجم على عمله ، فالتأليف أكثر سهولة من الترجمة (عادة) ويكافأ المؤلف معنويا وعلمياً اضافة إلى المكافأة المادية ، وهذه مميزات لا يحصل المترجم منها إلا على آخرها .

(هـ) عدم توفر الخطة الفعالة التي تعنى بالأولويات والتنفيذ .

(و) عدم توفر المصطلح العلمي العربي الموحد للمترجم الذي يساعد في الابتعاد عن الترجمة القطرية ورفع مستوى المادة المعربة لتكون مقبولة وميسرة لكل الدارسين العرب .

(ز) عدم توفر النظم الآلية (المعلوماتية) الحديثة مثل بنوك المصطلحات المدعومة ببرامج عالية الكفاءة في الادخال والاسترجاع والفرز ، والمدعومة بشبكات اتصالات آلية تساعد على نشر المصطلح العلمي وتسهيل عملية تحديثه وتوحيده .

(ح) عدم توفر البحوث العلمية الحسابية في اللغة العربية التي لها دور فعال في تطوير نظم الترجمة الآلية .

(ط) الخلافات السياسية في العالم العربي والتي

بدورها أثرت على تبادل النشاط العلمي بين المتخصصين في المجالات العلمية في كل دولة .

(ي) التأخر في إيجاد المصطلحات العلمية باللغة العربية ، من قبل المعاجم اللغوية العربية ، والمكافئة للمصطلحات العلمية الأجنبية والتي تتدفق بسرعة هائلة .

(ك) عدم وجود المؤسسات العلمية المتخصصة بشكل كاف لاعداد المترجمين المؤهلين القادرين على دفع عجلة التعريب العلمي في الوطن العربي .

(ل) النقص الواضح في الالمام باللغة العربية لدى المؤهلين في مجال العلوم والتقنية من أبناء الوطن العربي مما أدى إلى تخوفهم من اقتحام ميدان الترجمة والتعريب إلى اللغة العربية .

(م) عدم تمكن المؤهلين في اللغة العربية من الالمام باللغات الأجنبية مما جعلهم غير قادرين على التعريب والترجمة من اللغات الأخرى إلى العربية والعكس .

(ن) عدم تشجيع المؤسسات مثل الجامعات ومعاهد البحوث على الترجمة والتعريب .

(ص) عزوف الناشرين العرب عن دعم الكتب المترجمة ونشرها وعدم وجود أنظمة واضحة وحريصة لحفظ حقوق المترجمين .

(ع) عدم وجود دور نشر على نطاق العالم العربي بحيث يصل الكتاب المترجم إلى جميع أنحاء العالم العربي وبشكل منظم وشامل .

(ف) عدم التعاون الجدي على مستوى الدول العربية في إصدار المجلات العلمية المتخصصة والواسعة الإنتشار ، مما جعل أكثر النشر في المجالات المتخصصة العالمية وباللغة الأجنبية .

٥ - الأساليب المستخدمة في التعريب :

تعتمد عملية التعريب على نشاطات فردية عادة ، وقد تتخللها أعمال صادرة عن مؤسسات عربية ، مثل اصدارات مجامع اللغة العربية والتي لا زالت وللأسف نظرية الاتجاه وعسيرة التوزيع ، حيث أنها تصنع لاحتياجات الجهة المعربة أولا .

وبالرغم من أن عملية الترجمة لا زالت يدوية كذلك وتعتمد على مصطلحات يحوز عليها المترجم ذاته .. إلا أن هناك بعض النظم الآلية الغير منتشرة مثل نظام سيستران (Systran) ونظام ويدنر (Wiedner) .

كما أن هناك نظامين لجمع وتعريب المصطلحات العلمية وهما البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) ، وبنك لكسار المغربي ، ولكن ليس بينهما أي اتصال أو تنسيق يذكر .

جهود مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية في مجال التعريب

أولت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية اهتماما بالغا بقضية التعريب سواء ما يتعلق بتعريب العلوم ونشرها باللغة العربية ، وتعريب المصطلحات العلمية في شتى مناحي العلوم ، وفي هذا الصدد قامت المدينة بما يلي :

١ – إنشاء البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) :

نظر للازدياد الهائل في حجم المعلومات الخاصة بالعلوم والتقنية الحديثة والمكتوبة باللغات العالمية المعروفة .. فقد كانت هناك حاجة ماسة لمواكبة نقل هذه المعلومات إلى القارىء والباحث العربي في كل مكان من أرجاء العالم العربي ، غير أن الأساليب التقليدية في الترجمة والتعريب لم تعد قادرة على أداء هذه المهمة ، فالبحوث والمصطلحات تنشر بالعشرات .. ولا بد للعالم العربي من الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة لمتابعة تطورات هذه التقنية .

ومن هذا المنطلق فكرت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالمملكة العربية السعودية في دراسة مشروع للترجمة بمساعدة الحاسب الآلي عن طريق ايجاد بنك آلي للمصطلحات العلمية يخدم الترجمة البشرية والآلية على حد سواء ، كما يخدم الباحث والقارىء وخبير المصطلحات والمعاجم .. فقد توصلت إلى إنشاء البنك الآلي السعودي للمصطلحات (باسم) وفيما يلي نبذة موجزة عنه .

أهـداف (باسـم) :

كان الهدف من إنشاء (باسم) تحقيق عدد من الأغراض من أهمها :

١ – المساهمة في تعريب العلوم والتقنية بالطرق التالية :

(أ) اعداد معجم آلي .

(ب) اعداد الجزء العلمي والتقني من معجم عام للترجمة الآلية .

٢ – تهيئة وسيلة مساعدة لعلماء المصطلحات من العرب ، والعمل على توحيد المصطلحات العربية في مجالات العلوم والتقنية .

٣ – المشاركة في ايصال المصطلحات العلمية إلى جماهير المستفيدين من متخصصين وباحثين وغيرهم .

٤ – أن يكون نواة لشبكة معلومات عربية تدعم نشاطات تعريب المناهج العلمية .

٥ – تنظيم دورات تدريبية في أساليب معالجة المصطلحات العلمية وتعريبها وفق أسس علمية ، وذلك بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة داخل المملكة العربية السعودية وخارجها .

تطـوير المشـروع :

بدأت فكرة (باسم) في شعبان ١٤٠٣هـ (يونيو « حزيران » ١٩٨٣م) ، حيث قامت لجنة متخصصة بتقديم التصور العام للمشروع وخطة العمل له ، كما قام فريق من المدينة بزيارة أهم بنوك المصطلحات المعروفة في أوروبا ، ومنظمة المقاييس الدولية في جنيف ، ومكتب معلومات المصطلحات (انفوتيرم) في فيينا .

ثم بدأ العمل على تطوير البرامج اللازمة لإدخال البيانات في الحاسب الآلي التابع للمدينة وتصنيفها

واسترجاعها ، وقد تم إدخال ما يزيد عن ٢٥٠٠٠٠ مصطلح علمي باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية ، تغطي أكثر من ٢٥ موضوعاً علمياً ، وإجراء التجارب على برامج التشغيل اللازمة .

ثبت من التجربة ضرورة استخدام طرفيات أكثر تطورا من الطرفيات المتوافرة بالمدينة . وعليه فقد قامت المدينة بدراسة طرفيات ثنائية اللغة ، واختيار أفضلها لخدمة مشروع (باسم) . وتتسم الطرفية الحالية بعدة مزايا من أهمها :

١ - وجود رمز واحد لكل حرف عربي ، وتقوم الطرفية بتحديد شكل الحرف وفقاً لبرنامج خاص به .

٢ - توفير علامات الحركات من فتح وضم وكسر وشد وغير ذلك .

٢ - إصدار مجلة علمية متخصصة :

قامت المدينة منذ حوالي أربع سنوات بإصدار مجلة علمية متخصصة تهتم بتبسيط العلوم وتقديمها بأسلوب سهل ليستفيد منها أكبر قدر من أفراد المجتمع من غير المتخصصين . وفي هذا الصدد عمدت المجلة إلى استكتاب العديد من المتخصصين في شتى نواحي العلوم لتزويد المجلة بمقالات علمية جديدة والتركيز على الموضوعات الحديثة التي لا يوجد عنها معلومات بالعربية لتتم الكتابة فيها باللغة العربية امعانا في تزويد القراء بأحدث التطورات في مجال العلوم والتقنية باللغة العربية .

٣ - الترجمة والنشر :

قامت المدينة مؤخرا بتبني مشروع نشر الكتب العلمية التراثية المحققة والتي تبرز جوانب عديدة مهمة من علوم العرب والمسلمين الأوائل والتي لا يزال تأثيرها ممتدا حتى الآن . وتسعى المدينة حالياً في اعداد لوائح للنشر من أجل البدء بشكل مكثف في نشر الكتب العلمية العربية وتعريب الكتب الأخرى المكتوبة بلغات غير العربية .

٤ - تعريب البحوث العلمية :

من بين الأهداف الرئيسية للمدينة دعم ونشر البحث العلمي وتنفيذ برامج بحوث علمية تطبيقية لخدمة أغراض التنمية في المملكة .. وقد أولت المدينة تعريب المصطلحات العلمية اهتماما كبيراً خدمة لأهداف المدينة في تقديم خدمات المعلومات الكفيلة بدعم النشاطات العلمية والتقنية في المملكة .

وتعتبر المدينة تعريب المصطلحات العلمية والتقنية بطريقة علمية وموحدة احدى المشكلات التي يواجهها العالم العربي في مجالات نشر المعرفة التي هي أساس التطور ، ولذلك فإنها تضع الحلول المناسبة للتغلب على الصعوبات التي تواجه تعريب المصطلحات بصفة خاصة والترجمة عموما .

التـــوصيــــات

وبعد هذا الاستعراض الموجز للوضع الراهن للتعريب وما يواجهه من صعوبات ويكتنفه من مشكلات ، فإنه يمكن التوصية بالآتي :

١ – خلق روح تعاون بين بنوك المصطلحات العربية (باسم ، لكسار) .
٢ – تطوير شبكة اتصالات عربية تساعد على ايصال المصطلح العلمي الموحد إلى الباحث والمترجم .
٣ – زيادة أواصر التعاون بين (باسم) وبنوك عالمية أخرى لمتابعة ما يستجد .
٤ – العمل على تطوير حاسب عربي .
٥ – العمل على تطوير نظام ترجمة آلي من الإنجليزية والفرنسية إلى اللغة العربية .

هذا ما استطعت استعراضه معكم في هذه العجالة .. سائلا الله العلي القدير أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والسداد .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،

الفقراء والأغنياء

زياد بن عبد الرحمن السديري

رغم فداحة الفعل الذي أتى عليه العراق في غزوه للكويت الشقيق وتهديده لأمن واستقرار الدول الأخرى المجاورة ، فإن المسألة التي استحوذت على اهتمام الكثير من أبناء الجزيرة العربية وغلبت في دهشتهم هي مواقف بعض الشعوب العربية وقادتها من هذا الغزو بل وتعاطفهم معه . ولا غلو في القول أن الكثير منا فوجىء بهذه المواقف لأسباب كثيرة أهمها تساهل هؤلاء الأشقاء بما وقع بالكويتيين وتجاوزهم عنه ، بل وظهورهم بعدم المبالاة وهم في نفس الوقت يحملون رايات العروبة والنخوة والاعتزاز . وذهب البعض إلى تفسير هذه الظاهرة ، بأنها انعكاس لطبيعة العقلية العربية وإفراطها في حبّ القوة أو الرَّجل القوي ، واستعدادها للتجاوز عن كل الأخطاء مهما بلغت في بشاعتها في سبيل تحقيق مثل هذه القوة بينما ذهب البعض إلى القول بأن هذه المشاعر ما هي إلا وليدة الحسد ، بل وربما الحقد تجاه أبناء الجزيرة ، وطالب هؤلاء البعض بإعادة النظر في سياسات الدعم والمساندة التي انتهجتها حكوماتهم مع تلك الدول أو الشعوب العربية « ناكرة الجميل » .

لا شك أن ظاهرة التأييد للعراق من قبل بعض الأطراف العربية ، هي مسألة مؤلمة ومثيرة للقلق حقا ، وهي ربما تتجاوز في أهميتها أو في خطورتها من الناحية الفكرية أو التاريخية الغزو العراقي نفسه . فنحن ربما نتجاوز عن أسوأ ما قد يمثله هذا الغزو بمعرفتنا أو باعتقادنا بأنه نتيجة لقرار أو لنزوة فردية لا نستطيع تحميل الشعب العراقي عامة مسؤوليتها ، خاصة ونحن على بينة من أن الشعب العراقي مغلوب على أمره مجرد من كل وسائل صنع القرار في العراق . إنما نحن لا نستطيع أن نقف عند هذا التفسير في حال الكثير من مؤيدي الغزو العراقي من العرب . ومهما قلنا في مسؤولية قادة الدول التي ظهر فيها هذا التأييد عن توجهات الرأي العام في بلادهم وفي جهل أو انخداع هذا الرأي العام فنحن مازلنا أمام حقيقة تتمثل في وجود توجه أو تعاطف مع الغزو العراقي على المستوى

الشعبي أو العام في تلك الدول . فكيف نفسّر هذه المواقف الشعبية والقيادية وكيف نكون منها ؟ وكيف نتقبل ونتعامل مع ما ذهب إليه بعض قادة هؤلاء الشعوب من أقوال كان أبرزها قولهم بأن هذا الغزو ما هو إلا معركة الفقراء ضد الأغنياء ومطالبتهم بإعادة توزيع الثروات الخليجية وفق أسس جديدة مختلفة . ولعلنا نبدأ بالمسألة الثانية قبل الأولى .

معركة الفقـراء :

القول بأن في العالم العربي فقراء وأغنياء هو قول صحيح . والقول بأن الكثير من الحروب ، وربما منها الاحتلال العراقي للكويت ، هو نتيجة لتباين الثروات وطمع الفقراء بالأغنياء هو قول صحيح أيضا . إنما السؤال الذي أغفله أصحاب هذه المقولة هو ، من هو المسؤول الأول عن هذا التباين أو بالأصح الفقر ؟ وكيف يكون علاجه ؟

من الواضح أن القائل بنظرية الفقراء والأغنياء يحاول اقناعنا بأن غنى دول الجزيرة مصدره الوحيد هو وجود البترول فيها ، وأن مصدر فقر الدول العربية الأخرى يعود إلى خلوّها من البترول ومن الثروات الطبيعية الثمينة الأخرى . فلننظر في هذه المقولة ، ولنتدارس مقوماتها فهل البترول وحده هو سر غنى دول الخليج ؟ وهل الدول التي لا تنعم بالثروات مثل البترول دائما فقيرة ؟

لا شك أن البترول هو المصدر المادي المباشر ، بعد إرادة الله . للموارد التي هيأت لدول الجزيرة العربية أن تحقق هذه القفزة الكبيرة خلال العقدين الماضيين من الزمان ، هذا لا ينكره أحد . إنما البترول لا يوجد فقط في دول الخليج بل وفي دول أخرى عديدة كثير منها عربية مثل العراق . فهل العراق وجميع الدول العربية البترولية الأخرى دول غنية ؟ وهل نستطيع أن نقول أن الفارق بين هذه الدول وتلك هو فقط كمية البترول أو عدد السكان ؟ هل ما ينعم به أهل الجزيرة هو الثروة المادية فقط ؟ هل الفارق بينهم وبين الآخرين يقتصر على مستوى الدخل ؟ ألا يتوفر في بعض هذه الدول الأخرى مقومات وثروات أخرى إضافة إلى البترول مثل الأنهار والأرض الزراعية الخصبة في العراق ؟ فأين بترول هذه الدول وثرواتها الأخرى ؟ ولماذا هي مازالت فقيرة ؟ كيف يكون العراقي فقيرا والآخر سجينا ، والثالث مهاجراً يبحث عن المأوى هارباً من الاضطهاد والعوز طالما يتوفر البترول وغيره من الثروات في تلك الدول ؟ ألم يكن من الممكن أن يحدث في الجزيرة العربية ما حدث في تلك الدول فلا يكون للبترول أثر يذكر ؟ هل مازلنا نستطيع أن نقول أن وجود البترول وحده يفسر النعيم الذي تعيشه دول الجزيرة العربية .

وللنظر في الجزء الآخر من مقومات نظرية الفقراء والأغنياء . هل الدول التي تخلو من البترول والثروات الطبيعية الأخرى دائما دولا فقيرة ؟ الجواب مرة أُخرى هو ليس بالضرورة . فهل كان لبنان قبل نشوء الحرب الأهلية فيه ، من دول البترول ؟ وهل في كوريا أو اليابان بترول يفسر ثروتها ؟ هل سبب غنى أوروبا الغربية وجود الثروات الطبيعية ، وسبب فقر أوروبا الشرقية غياب هذه الثروات ؟ من الواضح أن الجزء الثاني

من مقومات نظرية الفقراء والأغنياء هو أيضا جزء غير متين .

نحن ننتهي مما سبق إلى القول أن الموارد الطبيعية على أهميتها ليست هي العامل الوحيد في غنى أو فقر الدول والشعوب . ونقول أن العامل الرئيسي بعد إرادة الله هو الاستقرار وحسن القيادة والإدارة وتمتع الفرد بالحرية والأمان والاحترام . فمن غير هذه العوامل لا يمكن أن يكون غنى ولا نعيم مهما توفرت الثروات ، كما تثبته الوقائع في العراق وفي دول أخرى . إذاً فالمسؤول عن غنى دول الجزيرة ليس البترول وحده وإنما بعد مشيئة الله أهلها وقيادتها واستقرارها . والمسؤول عن فقر كثير من الدول العربية الأخرى ليس فقدان الموارد إنما فقدان الاستقرار وهدر كرامة وأمن وحرية الفرد وسوء القيادة والإدارة وتضييع الإمكانيات المتاحة في غير ما يعود على شعوب تلك الدول بالنفع والخير . فأين ذهبت المساعدات التي كانت تقدم لتلك الدول ؟ ولماذا تحجم رؤوس الأموال عن التوجه إليها وتذهب إلى غيرها من الدول الفقيرة ؟ وأين أبناء تلك الدول العربية ؟ ولماذا يختارون الهجرة أو الهروب ؟ بينما اختار أبناء دول فقيرة مهزومة البقاء في بلادهم وأصبحت تلك البلاد من أغنى دول العالم ؟ ومن المسؤول عن زج الدول والشعوب العربية في حروب لا تنتهي إلا بهزيمة هذه الدول وقتل شبابها وتبديد إمكانياتها ؟ من المسؤول عن توريط شعبه في هذه الحروب طالما هو يعرف أنهم فقراء ؟

لا شك أن بيننا في الدول العربية فقراء وبيننا أغنياء ولاشك أن المتكلمين بحرب الفقراء والأغنياء قد وضعوا أصابعهم على أمر بالغ الأهمية . فهل جوابهم والأمر كذلك هو الاستمرار بخداع شعوبهم أم هو إدراك الحقيقة الصعبة والإقرار بمسؤوليتهم الأولى عن هذا الأمر والبدء عاجلا بتداركه . وبمعنى آخر إن كان منظري مقولة الفقراء والأغنياء يقولون أنهم لا يملكون تغيير حال شعوبهم ، فما هو المبرر لبقائهم إذاً ؟ وإن كانوا حقا يعتقدون أن السبيل أمامهم هو اقتسام ثروات الجزيرة العربية بالقوة فليفهموا الآن أن هذا أمر ليس ميسّرا .

موقفنا من مؤيدي العراق :

ربما لا مناص من القول أن ما رأيناه من تعاطف مع الغزو العراقي للكويت ، رغم شعارات القومية العربية التي هتف بها هؤلاء المتعاطفين هو انعكاس لعدة تيارات أهمها ما ذكر حول بحث العرب عن الرجل القوى بغض النظر عن ماهية هذا الرجل وصفاته أو أخلاقياته ومبادئه . فإن الوقوف مع العراق في هذا الأمر لا يدخل في باب الدعوة للقومية العربية وإنما يدخل في باب الدعوة للاستعمار العربي . كما أننا لا نستطيع إلا أن نقول بأن هذا التعاطف يحركه مشاعر مشبوهة تجاه أبناء الجزيرة ووفرة إمكانياتهم . وإلا فكيف يقبل العربي الغيور بما حدث لأهل الكويت وما حل بهم من دمار وسلب وتشريد إلى غير ذلك من الأفعال التي تأباها الأخلاقيات العربية الأصلية ؟ وكيف يقبل من عانى الاحتلال والاضطهاد بمثل ذلك لغيره من العرب ؟ بل ويخرج هاتفاً لقوات الاحتلال . وأخيراً ربما لابد من القول بأن هذا التعاطف

والتفاعل وما يمثله من خروج عن الأسس المتعارف عليها ، ومن تطرف وعنجهية ، هو وليد مشاعر اليأس التي يعيشها الكثير من شعوب الدول العربية والتي تقودهم إلى التخبط والخطأ . وإلا فهل فكّر هؤلاء المتخبطون بما حل بأهل العراق قبل أهل الكويت وما سيحل بهم لو وصلهم النهج الذي تمارسه حكومة العراق . هل العراق مثلا يُقتدى به ؟ هل أهل العراق بخير ؟ إلى ماذا يطمح هؤلاء المتخبطون ؟ ومن الذي يجيز لهم تقرير ما يحدث في الكويت ؟ هل هم أولى بذلك من أهل الكويت ؟ كثيرة هى الأسئلة التي نسيها هؤلاء .

مما لا شك فيه أننا نحن أبناء الجزيرة متفقون على رفض هذه المواقف ومستعدون لمواجهتها . ونحن لم ننجرف سابقا ولن ننجرف الآن إن شاء الله وراء التيارات المتطرفة والشعارات الفارغة المدمرة . ونحن على أية حال لا نجد فيهم ولا في حكومة العراق مثلا يقتدى به . نحن عشنا ماض أفضل من ماضيهم ونحن نتطلع إلى غد أفضل مما يبدو أنهم يتطلعون إليه . نحن متفقون على كل ذلك إن شاء الله . إنما كيف يكون الرفض وكيف يكون التصدي ؟

البعض منا يقول إننا أفرطنا في الماضي في حسن نوايانا وبالغنا في تعاطفنا مع أشقائنا العرب وفي مساعداتنا ومساندتنا لهم ، ويقول هؤلاء إن بيننا نحن أغنياء وفقراء وعلينا أن ننظر في فقرائنا أولا قبل أن ننظر في فقراء العرب . ويقولون أن تصدينا لخصومنا يكون عن طريق بناء قوتنا العسكرية . ويقولون أن من أنكر الجميل لا يجازى إلا بالرفض والتحدي .

وبالمقابل فمنّا من يقول أن أخلاقنا لا تسمح لنا بمقابلة الرديئة بمثلها . وأن علينا أن نتجاوز عن هذه الإساءات ونبادر بالحسنات . وإن إخواننا العرب في نهاية الأمر سيعودون إلى الصواب وسيدركون خطأهم وحسناتنا .

ونحن نقول أن كلا الرأيين على حق في جوانب ، وربما على غير ذلك في جوانب أخرى . وعلى أية حال فنحن نفيد كثيراً لو فرّقنا بين مسألتين : المسألة الأولى تتعلق بما يجب أن نفعله نحو أنفسنا . والمسألة الثانية تتعلق بما يجب أن نفعله نحو الآخرين . ولنبدأ بأنفسنا .

لا شك أن الأقربين أولى بالمعروف وأن إغاثة فقرائنا أولى وأبدى . ولاشك أن امتلاكنا لقوة دفاعية جادة أمر تحتمه الأحداث ويفرضه الواقع الذي نعيشه اليوم . ولكن ماذا يعني هذا وهل هو كل شيء فلننظر في مسألة بناء القوة الدفاعية .

قلنا في الفقرات السابقة أننا ننعم بظروف يحسدنا عليها الآخرون . وقلنا أن البترول وحده لا يفسر النعيم الذي عشناه بحمد الله . ولعلنا الآن نقول أن أحد الفوارق الكبيرة بيننا وبين بعض إخواننا العرب الآخرين هو أنهم اختاروا التركيز على منطق القوة العسكرية بينما اخترنا نحن التركيز على منطق التنمية والنهضة في مختلف مجالاتها الاقتصادية والفكرية . أليس ملفتاً للإنتباه أن أصحاب منطق القوةالعسكرية هم فقراء العرب اليوم ونحن أصحاب منطق التنمية الأغنياء . وأليس ملفتا للانتباه أن دول العسكر هي التي أصابها الدمار وهي التي وقعت في الحروب . بينما نحن

أصحاب القوة العسكرية المتواضعة أمضينا العقود العصيبة الماضية في هذه المنطقة المتفجرة بعيدا عن الدمار والحروب والهزائم . ألا يفرض علينا هذا أن نتأنى قليلا قبل أن نتبنى منطق العسكر ؟ ألا يجدر بنا أن نتدارس أولا أسباب استقرارنا وتطورنا وأمننا ونحافظ عليها بل وننمّيها .

يبدو لي أننا سنفيد كثيرا لو وضعنا مسألة العسكرية في إطارها الصحيح وحرصنا ونحن ننمي من قوتنا الدفاعية العسكرية بعدم الإخلال أو التفريط بقوتنا الدفاعية الأساسية التي خدمتنا كثيرا في الماضي القريب . لقد عشنا الأمن والاستقرار والثراء في الماضي ليس بسبب القوة العسكرية . وإنما بمشيئة الله ، بسبب الحكمة والواقعية ، وبسبب احتفاظنا بأصولنا وقيمنا ، وبسبب إدراكنا لأهمية الفرد وحرصنا على تنميته وتمكينه من العطاء . ونحن سنظل أقوياء وآمنين إن شاء الله طالما بقيت لبنتنا الداخلية صلبه وطالما سرنا في طريق وضع الأُسس الصحيحة لتعاملنا . فلنبق منطق العسكر في إطاره الصحيح . ولنتذكر ما حدث ويحدث في دول القوة العسكرية الضاربة القريبة منا والبعيدة .

والآن ننتقل إلى المسألة الثانية وهي ما يتعلق بما نفعله نحو إخواننا العرب . هنا أقول إننا لا نصل إلى جواب شاف لو نظرنا إلى هذه المسألة من منطق ردّ الفعل بين قائل بوجوب استعمال منطق القوة مع « ناكر الجميل » وبين قائل بأن علينا أن نتجاوز عن الإساءات ونبادر بالحسنات التزاما بأخلاقنا وقيمنا الإسلامية والعربية الصحيحة . فللقائل الأول أقول أن بناء القوة العسكرية ليس كل شيء . فنحن لا يسعنا أن نعيش خلف حاجز من النار دائما وأبدا . ونحن لا يسعنا أن نستمر في نهضتنا وتقدمنا ولا نأبهَ بما يحدث حولنا . والمسألة ليست مسألة جبن أو خوف ولا هي مجرد مسألة أخلاقية . المسألة هي أننا لا نفيد من تضرر هؤلاء ولا نسعد ببؤسهم . والمسألة هي أن الأصلح لنا ولهم أن نراهم يرفلون بالاستقرار الذي ننعم به ويتطلعون إلى غد مثل الغد الذي نطمح إليه ، فربما لو أتيح لهم ذلك لأصبحوا أقل تخبطا وأكثر حكمة . ونحن بلا شك نفيد من ذلك كثيرا معنويا ودينيا وماديا . وللقائل الثاني أقول أن النوايا الحسنة لوحدها لا تكفي . فهذا ما فعلناه سابقا . بذلنا كثيرا وجنينا ، أحيانا وليس دائما ، ما لا نستحق . إذا كان النظر إلى هذه المسألة من منطق ردّ الفعل غير كافٍ ، فما هو المنطق الصحيح للنظر في هذه المسألة .

لقد قلنا في فقرات سابقة أن السبب الأول فيما يعاني منه أشقاؤنا العرب ليس فقدان الموارد وإنما خطأ التوجه وسوء المنهج . وقد قال تعالى : ﴿ إن الله لا يُغيّرُ ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفُسِهم ﴾ فالمسؤولية الأولى إذاً تقع عليهم هم وتلزمهم بإعادة النظر في أساليبهم ووضع الأسس الجديدة اللازمة لتهيئة بلادهم للإنطلاق والرخاء . هم يجب أن يتعلموا من أخطائهم ومن أخطاء الآخرين من حملة الشعارات الفارغة وممارسي الدكتاتورية والاضطهاد ، الذي جلبوا البؤس لبلادهم . هم يجب أن يدركوا بأنه لن يكون لهم طائل طالما هم لم يوفروا للفرد الاستقرار والكرامة فيحفظونه ، ويكسبون ثقته ، ويفيدون من

طاقاته . هذا ما يجب أن يحدث منهم وما يجب علينا أن نساعدهم على حدوثه .

وعندما يحدث هذا ويكون بإمكاننا المساهمة في دعمهم ، فنحن نريد أن يكون هذا الدعم في بناء المشاريع التنموية الصحيحة وليس في بناء الجيوش ، ونريد أن يكون هذا الدعم ، متى أمكن ذلك ، على شكل يفيد منه الفرد السعودي كما يفيد منه الفرد في البلد العربي ، وليس فقط على شكل هبات . نحن نريد أن نساهم في بناء مقومات الدول العربية الشقيقة بما يفيدنا ويفيدهم وفق أسس صحيحة لَنا ولَهم . ويكون هذا من منطلق الرغبة في خلق دول عربية مستقرة وشعوبٍ عربية متآلفة قادرة على التقدم والعطاء ، وليس من منطلق الصدقة أو الخوف .

ولنتذكر أن القوة العسكرية لوحدها لم تصحح المآسي التي تعيشها أمتنا ولندرك أننا لن نستطيع أن نفرض وجودنا في هذا العالم مالم نصعد بالفرد ومالم تصبح أمتنا بالمستوى الذي يفرض نفسه على الجميع .

لقد علّمتنا أحداث الكويت أن ما يسمى بالصديق أو الشقيق أحيانا لا يكون كذلك . إنما علمتنا هذه الأحداث أيضا أننا حقا متميزون ليس فقط بثرواتنا وإنما باستقرارنا وقيمنا وأسسنا . وهذا أمر يجب أن لا ننساه أبدا وهو مصدر قوتنا الحقيقية التي تسترعي اهتمامنا وتنميتنا الدائمة . فلنبقَ كذلك ولنستمر في تطوير الفرد وصيانته تمكينه من العطاء والبذل . وعندما نتوجه لمساعدة أشقائنا العرب فلنتبين الأسس التي تتم فيها هذه المساعدة .

الفطرة

بين المعنى اللغوى ، والتأويل الفلسفى ، والتفسير الاسلامى

الدكتور / عارف مفضي المسعر

تناولت المعاجم اللغوية العربية لفظ (الفطرة) بشيء من العناية والتفصيل لعدة اعتبارات لعل من أبرزها علاقة هذه اللفظة ببني البشر عامة ، من حيث ابتداء خلق الله لهم ، ودرجة النقص أو مستوى الكمال في قدرات الطفل المولود حين ولادته ، وعما إذا كان يولد أو يفطر على كفر أو إيمان . كما أن من أبرز الاعتبارات التي أدت باللغويين إلى الاهتمام بمعاني لفظ (الفطرة) ورود هذا اللفظ وبعض مشتقاته في أكثر من موضع من القرآن الكريم حين تكرر وروده عشرين مرة متناولاً قضيتي الخلق والإسلام ، فهو لفظ عربي ، والقرآن إنما نزل بلغة العرب . ومدلوله بحكم متعلقاته ، إنما يكون في غاية الأهمية فيما يتعلق بنا كمسلمين على أننا ونحن نخص (الفطرة) بهذه المقالة إنما ننطلق من إدراكنا لأهميتها في جميع متعلقات حياة الإنسان في كل مراحل تطورها ، لارتباط الأمر بابتداء خلق الله له ، ووجهته الدينية ، وما يترتب على ذلك من السعادة والشقاء والهداية والضلال ، وعلاقة هذه الفطرة بالعقل البشري والنفس البشرية التي سوّاها الله ، وحمّل القائمين على أمر تنشئتها مسئولية عظمى نحو توجيهها الوجهة الصالحة وفقاً لشرع الله سبحانه وما ارتضاه لخلقه .

وكما أولى اللّغويون والفلاسفة مادة (الفطرة) اهتمامهم ، فقد تناول المفسرون والمفكرون الإسلاميون هذه المادة باهتمام أكبر من خلال محاولاتهم استلهام المعنى الشرعي الإسلامي لهذه المادة اللغوية لورودها في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة ، وذلك لقوة صلتها بالدين الإسلامي مهما اختلفت تفسيراتهم لها بعداً أو قرباً ، وتعميماً أو تخصيصاً .

ففي لسان العرب مادة (فطر) فطر الشيء يفطره فطراً فانفطر وفطره : شقه .
وتفطر الشيء : تشقق . والفطر : الشّق . وجمعه : فطور . وفي التنزيل : ﴿ هل ترى من فطور ﴾ . [الآية ٣ من سورة الملك] وأصل الفطر : الشق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إذا السّمَاء انْفطَرت ﴾ [الآية ١ من سورة الانفطار] . أي انشقت .

وفي الحديث : « قام رسول الله ﷺ حتى تفطّرت قدماه » . أي انشقتا . والفطرة : ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به . وقد فطره يفطُره بالضم فطرا أي خلقه . والفطرة الابتداء والاختراع . وفي التنزيل العزيز : ﴿ الحَمْدُ للهِ فاطِرِ السّمواتِ والأرضِ ﴾ [الآية ١ من سورة فاطر] ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما : أنا فطرتها : أي أنا ابتدأت حفرها .. والفطرة بالكسر الخلقة . قال أبو الهيثم الفِطْرة : الخلقة التي يخلق عليها المولود في بطن أمه قال : وقوله تعالى : ﴿ إلاّ الّذي فَطَرَني فإنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الآية ٢٧ من سورة الزخرف] . أي خلقني .. قال : وقول النبي ﷺ : « كل مولود يُولَدُ على الفطرة » : يعني الخلقة التي فطر عليها في الرّحم من سعادة أو شقاوة . فإذا والداه يهوديان هوّداه في حكم الدنيا ، أو نصرانيان نصّراه في الحكم ، أو مجوسيان مجّساه في الحكم . وكان حكمه حكم أبويه حتى يعبّر عنه لسانه فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطرة التي فُطِرَ عليها فهذه فطرة المولود . قال : وفطرة ثانية وهي الكلمة التي يصير بها العبد مسلماً ، وهي شهادة أن لا إله إلا الله . وأن محمدا رسول الله جاء بالحق من عنده فتلك الفطرة للدين [1] .

ولقد اهتم علماء النفس وفلاسفة التربية من مسلمين وغيرهم بأمر (الفطرة) تلمساً منهم لمعرفة كنهها من خلال وسائل علم النفس ساعين من وجهة نظرهم لتحقيق الأهداف الرئيسية الثلاثة لعلم النفس المتمثلة في :

١ - فهم السلوك الإنساني وتفسيره .
٢ - محاولة معرفة ما سيكون عليه هذا السلوك .
٣ - ضبط السلوك الإنساني . والتحكم فيه بتعديله وتحويره وتحسينه [2] .

قال بعض الفلاسفة : إن الفطرة تعني ما أودعه الله في المولود من طبيعة البشر من حيث الشعور بالحاجة إلى الإله . وأن الإنسان في كل زمان ومكان يبحث بطبعه عن إله وعقيدة وأنه لذلك يجب أن يُوجّه الطفل للدين . وهناك تقع مسئولية الوالدين والمربّي . لأن الطفل لديه القابلية مع أنه ولد لا يعلم شيئا . ولكنهم قالوا بوجود القوى الفطرية ، كقوى موجودة كامنة في المولود . وقالوا بوجود الدوافع التي تُعدّ مطلبا لأشياء يُهيّأ لها القيام بوظائفها فيما بعد . وأكّدوا من وجهة نظرهم أيضا وجود ضغط فطري من جانب كل قوة حتى تعبر عن نفسها تعبيرا مناسبا [3] .

ويعطي أحد كبار المفكرين التربويين الإسلاميين (أبو حامد الغزالي) الغرائز والنزعات الفطرية اهتماما ملحوظا إيمانا منه بوجودها في المولود ، وبقوة تأثيرها . ومن شواهد إيمانه بالفطرة والغريزة ما عبّر به عن نفسه حين قال : كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دَأْبي ودَيْدَني من أول أمري ، وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وُضعتا في جبلتي لا باختياري وحيلتي [4] .

وكما يقول الإمام الغزالي بوجود الغرائز والنزعات الفطرية فإنه يقول أيضا بتفاوتها قوةً وضعفاً . كما يستنكر على من يتشككون في

موضوع قابليتها للتهذيب والتأثر ويسائلهم : كيف تنكر قابلية الغرائز للتهذيب في حق الآدمي مع أن تغيير خلق البهيمة ممكن ؟ وضرب لذلك مثلا بنقل البازي من الاستيحاش إلى الأنس ، والكلب من شره الأكل إلى التأدب والإمساك والتحلية . والفرس من الجماح إلى السلاسة والانقياد وكل ذلك تغيير للأخلاق (٥) .

وتناول بعض أهل الفقه والنظر لفظ الفطرة فقالوا : إنها الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه . فكأنه قال : كل مولود يولد على خلقةٍ يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة . يريد خلقةً مخالفة لخلقةِ البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته ، واحتجوا على أن الفطرة الخلقة ، والفاطر الخالق ، لقول الله عز وجل : ﴿ الحَمْدُ للهِ فاطِرِ السَّمٰوات والأرض ﴾ [الآية ١ من سورة فاطر] . يعني خالقهن . وبقوله تعالى : ﴿ وَمَالِيَ لا أَعْبُدُ الذي فَطَرني ﴾ [الآية ٢٢ من سورة يس] ، وبقوله : ﴿ الذي فَطَرَهُنَّ ﴾ [الآية ٥٦ من سورة الأنبياء] يعني خلقهن . قالوا فالفطرة : الخلقة والفاطر الخالق . وأنكروا أن يكون المولود يُفْطَرُ على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار ... وقالوا بأنهم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميّزوا (٦) .

واستشهد هؤلاء بقولهم هذا في قوله تعالى : ﴿ والله أخرجكُمْ مِنْ بُطونِ أمهَّاتِكُمْ لا تَعْلَمُون شيْئاً ﴾ [الآية ٧٨ من سورة النحل] ، وقالوا : من لايعلم شيئا استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار .

وكان من أبرز النصوص التي تناولها الباحثون والمفسرون حول أمر الفطرة ، الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجسّانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء) ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿ فِطْرَةَ اللهِ التي فَطَرَ النّاس عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ﴾ [الآية ٣٠ من سورة الروم] . وفي رواية عن أبي هريرة أيضا أن رسول الله ﷺ قال : (ما مِنْ مولود إلا يَلِدُ على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويشرّكانه . فقال رجل يا رسول الله : أرأيت لو مات قبل ذلك . قال : الله أعلم بما كانوا عاملين) . وفي حديث ابن نمير (ما من مولود إلا وهو على الملة) . وفي رواية (إلا على هذه الملة حتى يبين عنه لسانه) . وفي رواية (ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يعبّر عنه لسانه) (٧) .

قال عبد الله بن المبارك في معنى هذا الحديث المشهور : إن الطفل يولد على ما يصير إليه من سعادة أو شقاوة . فمن علم الله تعالى أنه يصير مسلما ولد على فطرة الإسلام . ومن علم أنه يصير كافرا ولد على الكفر . وقيل إن معناه أن كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به . فليس أحد يولد إلا وهو يقر بأن له صانعا وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره (٨) .

ولقد استلهم العلماء المسلمون تفسير هذا الحديث : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة) من نصوص القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنيفاً فِطْرَةَ اللهِ الّتِي فَطر النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ

ولٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُون ﴾ . [الآية ٣٠ من سورة الروم] . فقالوا إنها بمعنى : أخلصْ دينك لله وسدِّدْ عملك . والوجه : ما يتوجه إلى الله تعالى به الإنسان . ودينه وعمله مما يتوجه إليه ليسدده . وأن فطرة الله تعني : دين الله . وأن المقصود : الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها) . قال ابن عباس : خلق الناس عليها [٩] .

كما فسر الحديث : ما من مولود إلا يولد على الفطرة . بأن ذلك يعني العهد الذي أخذ على بني آدم في قوله تعالى : ﴿ وإذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَتَهُمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِم أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ [الآية ١٧٢ من سورة الأعراف] . فكل مولود في العالم على ذلك الإقرار وهي الحقيقة التي وُضعت الخلقة عليها وإن عبد غير الله . قال تعالى : ﴿ ولَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ لَيَقُولُنَ اللهُ ﴾ [١٠] .

[الآية ٣٨ من سورة الزُمَر] .

وقيل في معنى (الفطرة) أيضا إن كل مولود في مبدأ الخلقة يولد على الجبلة السليمة والطبع المتهيىء لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حُسنه في العقول السليمة ، وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره لأنه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره . ثم تمثل لأولاد اليهود والنصارى واتّباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فينزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجّة المستقيمة بقوله (كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء) . يعني كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شيء . وقوله : وهل تحسون فيها من جدعاء . يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء . وهي المقطوعة الأذن والأنف ، (لا تبديل لخلق الله) [١٢] .

ومن هذا المنطلق في تفسير معنى الفطرة يحمِّل الإمام أبو حامد الغزالي الوالدين وكل من يوكل إليه أمر الطفل المسئولية الكبرى إزاء المولود . فهو يرى أن الطفل يولد معتدلا صحيح الفطرة ويقول : الصبي أمانة عند والديه . وقلبه الطّاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة . وهو قابل لكل ما هو نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه . فإن عُوِّدَ الخير وعمله نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عُوِّدَ الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيِّم عليه والوالي له) [١٣] .

وقد فسر أحد الباحثين رأي الغزالي هذا في الفطرة بأنه يعني أن الطفل يولد على غير دين أو مذهب وأن أبويه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه وبأن المغير يقتبس مذهب أبويه الديني أيا كان [١٤] .

هذا . وإذا كان لفظ الفطرة قد ورد في بعض المواضيع من الكتاب والسنة مراداً به المعنى اللغوي وهو (الخلق) كما في قوله تعالى : ﴿ الحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمواتِ والأَرْض ﴾ [الآية ١ من سورة فاطر] . أي خالقهما ومبتديهما . وقوله تعالى : ﴿ ومَالِيَ لا أَعْبُدُ الذي فَطَرَني ﴾ [الآية ٢٢ من سورة يس] أي خلقني [١٥] .

فإن ما نود أن نخلص إليه هو ما يتعلق بالمعنى الشرعي لـ (الفطرة) فمن قوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ . [الآية ٣٠ من سورة الروم] . نفهم أن الدين الحنيف هو الدين القيم . وهو المطلوب اتباعه والتوجه إليه . وأنه الذي فطر عليه الناس بل خُلقوا عليه ، والدّين القيّم أساسه توحيد الله والاستسلام له . قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إبرَاهِيمُ يَهُودِيًّا ولاَ نَصْرَانِيًّا ولَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِماً ﴾ . [الآية ٦٧ من سورة آل عمران] .

ويستخلص هذا المعنى أيضا وهو أن الفطرة تعني الإسلام لا غير من نص الحديث النبوي مدار البحث (ما من مولود إلا يُولد على الفطرة . فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه) . حين ذكر الرسول ﷺ ثلاثة أديان هي اليهودية والنصرانية والمجوسية ولكن لم يرد في الحديث ذكر الإسلام من بينها . فلم يقل : أو يسلّمانه . وهذا يعني أن الإسلام حاصل وأن المولود مفطور عليه وأنه يكون من الأجدر بنا أن نفسر المعنى الشرعي للفطرة بأنها تعني دين الإسلام [١٦] . والقول بهذا هو مذهب جمهور السلف [١٧] .

سائلين الله أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يديم علينا نعمة الإسلام ويوفقنا لحسن توجيه ناشئتنا لما يحقق لهم صالح الدارين . إنه سميع مجيب .

الهوامش

١ - ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد . لسان العرب ، بيروت : دار صادر ، ١٣٠٠ هـ ، جـ ٥ ص ٥٥ .
٢ - د. أحمد عزت راجح . أصول علم النفس ، بيروت : دار القلم ، ص ٢٣ .
٣ - ديوى ، جون . الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ، ترجمة محمد لبيب النجيحي ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، ص ١٦١ .
٤ - أبو حامد الغزالي . المنقذ من الضلال ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ، القاهرة : دار الكتب الحديثة ، ص ٨٩ .
٥ - أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ، القاهرة : دار الشعب ، جـ ٨ ص ١٤٣٩ .
٦ - القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد . الجامع لأحكام القرآن ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧ هـ ، جـ ١٤ ص ٢٧ .
٧ - صحيح مسلم بشرح النووي . القاهرة : المطبعة العصرية ١٣٤٩ هـ ، جـ ١٦ ص ٢٠٦ .
٨ - المصدر السابق .
٩ - الخازن ، على بن محمد . تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ١٣٧٥ هـ ، جـ ٥ ص ١٧٢ .
١٠ - المصدر السابق .
١١ - الشوكاني ، محمد بن علي . تفسير القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣ هـ ، جـ ٤ ص ٢٢٣ .
١٢ - الخازن ، تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل جـ ٥ ص ١٧٢ .
١٣ - أبو حامد الغزالي . إحياء علوم الدين ، جـ ٨ ص ١٤٤٨ .
١٤ - د. فتحية سليمان . المذهب التربوي عند الغزالي ، ط ٢ ، القاهرة : مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤ م ، ص ١٠ .
١٥ - الشوكاني . فتح القدير ، جـ ٥ ، ص ٢٢٣
١٦ - عارف مفضي المسعر . التوجيه الإسلامي للنشء في فلسفة الغزالي ، بيروت : دار الأندلس بيروت ١٤٠١ هـ ، ص ٨١ .
١٧ - الشوكاني . فتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣ .

دور الخوارزمى فى علم الجبر

بقلـم
الأستاذ الدكتور / على بن عبد الله الدفاع
أستاذ العلوم الرياضية - بجامعة الملك فهد
للبترول والمعادن بالمملكة العربية السعودية

مقدمـــة

كان علم الجبر عند قدماء المصريين بدائيا ، ولكنهم عالجوا بكل نجاح المعادلة من الدرجة الأولى والمعادلتين ذات المجهولين . كما حلَّ قدماء المصريين الكثير من المسائل الجبرية باستخدام طريقة الـوضع الكـاذب (Double False Position) . ولكنهم أخفقوا بحل المعادلة من الدرجة الثانية .

أما البابليون فقد حلوا المعادلات من الدرجة الأولى والثانية والثالثة . وتوصلوا إلى حل كل من المعادلة :

أ س^{٤} + ب س^{٢} = جـ ، أ س^{٨} + ب س^{٤} = جـ .

وكانوا على دراية جيدة بالمعادلات الآنية ذات المجهولين ، وكذلك المعادلات الآنية ذات ثلاثة مجاهيل ، ووضعوا أسساً وقواعد لحلولهم هذه المسائل الهامة . كما تميزوا بطريقة حلهم للمعادلات التكعيبية والأسية ، وتعاملوا بكل وضوح مع الأرقام السالبة ووضعوا قوانين لها .

كان لعلماء اليونان اتصالات قوية بعلماء بابل ، بل إن هناك كثيرا من الجاليات الأغريقية كانت متمركزة في بابل ، مما ساعد ازدهار الحضارة اليونانية ، كما أن احتلال الأسكندر المكدوني لمصر ساعد انطلاقة الحضارة اليونانية ، لذا نجد أن اليونان حفظوا وخزنوا نتاج كل من قدماء المصريين والبابليين في ميدان علم الجبر ولم يضيفوا شيئا ، وإن كان بعض علماء الغرب ينسبون كذبا وتعنتا اكتشاف علم الجبر لديوفانتس ، علما أنه لم يعمل أكثر مما عمله إقليدس بالنسبة لجمعه الهندسة المستوية والمجسمة في كتابه المعروف (أصول الهندسة) . ولا يفوتنا أن نذكر أن الفيثاغوريين حلوا بعض المسائل من الدرجة الثانية ، ولهيرون الأسكندرى الفضل في تقديم برهان لمساحة المثلث بدلالة أضلاعه . وصدق فرانسيس كاجورى عندما وصف إسهام علماء اليونان في علم الجبر في كتابه (تاريخ الرياضيات) أنه متدنى إذا ما قيس بما قدمه كل من قدماء المصريين والبابليين في هذا المجال الحيوى .

إنه من العسير تقييم إسهامات علماء العرب والمسلمين في علم الجبر ، لأن معظم نتاج قادة الفكر في هذا المجال في المخطوطات التي استولى عليها علماء الغرب الذين يكنون العداء للحضارة العربية والإسلامية ، لذا فقد حرفوا فيها ونسبوا معظم نظريات علماء العرب والمسلمين الأصيلة في ميدان علم الجبر لعلماء الغرب ، لأن الأمة العربية والإسلامية لا حول لها ولا قوة ، بل كان العالم العربي والإسلامي مستضعف أمام المستعمرين الغربيين . هذا علاوة على المخطوطات التي تلفت والتي ضاعت بواسطة الحروب الصليبية كثيرة وليس لها بديل .

من المعلوم أن نتاج علماء العرب والمسلمين كان مدونا في المخطوطات التي استولى عليها علماء الغرب ، فإذا فقدت النسخة أو تلفت ، معنى هذا أن المخطوطة انتهى أمرها ، كما أن بعض المنصفين من علماء الغرب استطاعوا أن يقنعوا البعض الآخر الذين يضمرون كل العداء للحضارة العربية والإسلامية أن يحتفظوا ببعض المخطوطات في مكتبات جامعاتهم ومتاحفهم ، علماً أنهم يقومون في هذه المهمة بشعور أنهم يجمعون نتاج شعب معاد لهم .

استطاع علماء الغرب أن يشوهوا مكانة الحضارة العربية والإسلامية ، وبقوا مدة طويلة من الزمن يطبلون ويزمرون ويرددون القول أن علماء العرب والمسلمين لم يعملوا شيئا يذكر في مجال علم الجبر ، وأن كل ما عملوه حفظوا نتاج علماء اليونان من الضياع . ولكن في الآونة الأخيرة بدأ نور الحق يسطع ، وذلك باكتشاف كثير من المخطوطات العربية والإسلامية التي تحتوي على معلومات أصيلة في علم الجبر ، لذا نرى المتميزين من علماء الغرب الآن يعترفون بمكانة علماء العرب والمسلمين في حقل علم الجبر ، ويعتقدون أنهم مظلومين . علما أن المخطوطات التي حققت في جميع فروع العلوم الرياضية لا تتعدى (١٥٠) مخطوطة ، بينما الموجود في مكتبات ومتاحف العالم أكثر من عشرة آلاف مخطوطة في العلوم الرياضية .

ومما لا يقبل الجدل أن علماء العرب والمسلمين في مجال علم الجبر استفادوا من ما قدمه قدماء المصريين والبابليين والهنود واليونان ، لذا كانت انطلاقتهم انطلاقة عظيمة أدهشت علماء العصر الحديث . فأول من كتب في علم الجبر كتابة منتظمة خاضعة للقواعد والأسس العلميـة المستقلة – عن علم الحساب « الخوارزمي » الذي ألف كتابه « الجبر والمقابلة » والذي بقي من أهم المصادر في هذا الميدان .

وصدق كل من : هاشم أحمد الطيار ، ويحيى عيد سعيد ، عندما قالا في كتابهما « **موجز تاريخ الرياضيات** » . أن مشكلة المخطوطات النفيسة في الوطن العربي وفقدان غالبيتها العظمى بسبب الحروب والويلات تقف حجر عثرة في سبيل الكشف عن مآثر أولئك العلماء العظام . إن معرفتنا عن بعضهم تأتي عن طريق المستشرقين الذين قدروا أهمية تلك الكتابات العلمية قبل أن نعرف قدرها بما يقرب من مائتين من السنين . ولكن الشيء المفرح الآن أن هناك وعي في العالم

العربي والإسلامي تجاه إحياء التراث العربي والإسلامي وخاصة العلمي منه .

إن الاكتشافات العلمية للرياضيات في العصور الوسطى هى التي ساعدت على تطور علم الجبر إلى ما هو عليه الآن . أى أن اكتشافات ما قبل القرن السابع عشر الميلادي هي أساس تطور الرياضيات في جميع مناهجنا التعليمية المعاصرة . والجدير بالذكر أن علماء الرياضيات المسلمين بدأوا ابتكاراتهم في الجبر في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ، وعلى وجه التحديد في عهد الخليفة العباسي المأمون . وفي مقدمة هؤلاء العلماء محمد بن موسى الخوارزمي ، وأبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب المصري ، وسنان بن الفتح الحراني الحاسب ، ومحمد عيسى أبو عبد الله الماهوني ، وثابت بن قرة ، ولكن محمد بن موسى الخوارزمي اشتهر برسالته « حساب الجبر والمقابلة » والتي لعبت دوراً كبيراً في الحضارة الإسلامية والوعي العالمي الرياضي . وبدون شك فإن اسم الجبر يعود بالحقيقة إلى المسلمين حيث أنهم طوروا هذا العلم فالكلمة عربية ، وهي نفسها المستعملة اليوم في اللغات الأوربية . ويقول عمر رضا كحالة ، في كتابه (العلوم البحتة في العصور الإسلامية) : « اشتغل العرب بالجبر وأتوا فيه بالعجب العجاب ، وهم أول من أطلق لفظة (جبر) على العلم المعروف الآن بهذا الاسم ، وعنهم أخذ الأفرنج هذه اللفظة ، وأول من ألف فيه بصورة علمية منظمة محمد بن موسى الخوارزمي في زمن الخليفة المأمون العباسي ، فلقد كان كتاب الخوارزمي في الجبر والمقابلة منهلا نهل منه العلماء واعتمدوا عليه في بحوثهم وأخذوا عنه كثيرا من النظريات » . وأضاف عبد المنعم ماجد في كتابه (تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى) قولة : « مجهودات العرب في الجبر ويقصد به استخراج المجهول من المعلوم ، فيرجع إليهم الفضل في تقدمه ، إذا لم نقل أن هذا العلم من أساسه من اختراع العرب ، إذا الواجب أن يعترف بمجهودات العرب فيه . فقد ظهر له على أيديهم نظريات لم تعرف قبل » .

ومن القرن الثاني الهجري حتى القرن السابع الهجري (الثامن الميلادي حتى الثالث عشر الميلادي) كانت بلاد المسلمين مركز النشاط العلمي وأهم النشاطات العلمية في العالم في ذلك الوقت كانت تجري في دار الحكمة التي أنشأها الخليفة هارون الرشيد ثم طورها وعمرها الخليفة المأمون في بغداد . وفي دار الحكمة هذه كان تأثير الخوارزمي على الفكر الرياضي أكبر من تأثير أي رياضي آخر في العصور الوسطى ، إذ أنه اكتشف سنة ٢١٠ هجرية (٨٢٥ ميلادية) طرقا هندسية وجبرية لحل المعادلات من الدرجة الأولى والثانية ذات المجهول الواحد وذات المجهولين .

والدافع الأساسي وراء إبداع عالمنا المسلم الجليل الخوارزمي للجبر هو علم الميراث ، المعروف بعلم الفرائض ، فقد ابتدع طرقا جبرية لتسهيل هذا الحقل ، فكتب كتابا مشهورا باسم (الكتاب المختصر في حساب الجبر والمقابلة) وبهذا الكتاب حول الخوارزمي الأعداد من قيمتها المعنية إلى رموز تمثل هذه الأعداد ، حتى يمكن أن يعوض لهذه الرموز قيما مختلفة ، وأشار العالم المشهور في

تاريخ الرياضيات سلمان قندز في مجلة أيسزز في مقالة بعنوان (مصدر الجبر للخوارزمي) معترفا ، وذلك بقوله : أن كتاب الخوارزمي هو اللبنة الأولى في العلوم الحديثة ، ويستحق الخوارزمي أن يسمى والد الجبر ، حيث لم يكن عند العلماء الرياضيين الذين سبقوه فكرة واضحة كعلم مستقل ، بل كانوا يحاولون معرفة علم الأعداد . وقام روبرت شاستر العالم الانجليزي بترجمة كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي من اللغة العربية إلى اللاتينية عام ٥٣٤ هجرية (١١٤٠ ميلادية) ، ونقلها إلى أوربا ، فبقي علماء الغرب يستعملونها في جامعاتهم حتى القرن السادس عشر الميلادي ، كما نوه جورج سارتون في كتابه (المدخل إلى تاريخ العلوم) : « أن ترجمة روبرت شاستر لكتاب الخوارزمي المعروف بكتاب حساب الجبر والمقابلة يعتبر بدون مبالغة بداية وعي أوربا في علم الجبر » .

اشتغل علماء العرب والمسلمين بالجبر وأتوا فيه بأعمال تجعل حتى الدارس الغربي يعترف لهم بما قدموه للبشرية بهذا الحقل الحيوي . وقال المؤلف فلورين كاجورى في كتابه (تاريخ الرياضيات) : « إن العقل ليندهش عندما يرى ما عمله العرب والمسلمون في الجبر . فلقد كان كتاب الخوارزمي في حساب الجبر والمقابلة منهلا نهل منه علماء المسلمين وأوربا على السواء ، واعتمدوا عليه في بحوثهم وأخذوا عنه كثيرا من النظريات ، لهذا يحق القول بأن الخوارزمي وضع علم الجبر على أسسه الصحيحة » . ولعل أحسن ما يدل على أهمية التراث العلمي الرياضي عند المسلمين ، ابتداء الخوارزمي بمؤلفه المشهور (حساب الجبر والمقابلة) ، فقد امتاز عنوان كتابه بأشهر عمليتين من العمليات الجبرية في حل المعادلات هما

١ - الجبر .

٢ - المقابلة .

ويعني بالجبر هنا هو نقل كمية من طرف المعادلة إلى طرفها الأخر مع مراعاة تغيير الاشارات السالبة إلى الموجبة والعكس . أما المقابلة فتعني تبسيط الكمية الناتجة ، وذلك بحذف الحدود المتشابهة المختلفة بالإشارة ، وجمع الحدود المتفقة بالإشارة . فعلى سبيل المثال :

ب س + ٣ جـ = س^{٢} + ب س - جـ

فإنها بالجبر تعني :

ب س + ٣ جـ - ب س + جـ = س^{٢}

وبالمقابلة تصبح س^{٢} = ٤ جـ . عرف معظم علماء المسلمين علم الجبر بالعلم الذي يحتفظ بتوازن المعادلة ، وذلك بنقل بعض الحدود من طرف إلى آخر . وذكر الدكتور ديفيد سمث في كتابه (تاريخ الرياضيات - المجلد الثاني) : « أن علم الجبر عرف باللغة الانجليزية في القرن السادس عشر بالجبر والمقابلة وبصيغ أخرى كثيرة ، ولكن اختصر في النهاية بكلمة الجبر » .

فيكون مفهوم الجبر عند الخوارزمي « علم النقل والاختزال » أو « علم المعادلات » بوجه عام . كما بقي هذا المفهوم عند الغرب والشرق . وهذا يظهر من عمل الرياضيات في هذا الحقل على أنه علم المعادلات حتى القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) تقريبا . وبقيت رسالة

(حساب الجبر والمقابلة) للخوارزمي معروفة لدى علماء أوربا خلال ترجمتها من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية كما اهتم علماء الغرب بها وعملوا كل ما في وسعهم على الحصول على نصها العربي . فاكتشفوا عام ١٢٤٧ هجرية الموافق ١٨٣١ ميلادية نسخة مخطوطة منها محفوظة في (مكتبة بودلين) باكسفورد يرجع تاريخها إلى عام ٧٢٥ هجرية الموافق ١٣٢٥ ميلادية أى أنها بعد مؤلفها الخوارزمي بـ ٥٠٠ عام . وقد نشر الدكتوران : على مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد هذه المخطوطة باللغة العربية عام ١٣٥٦ هجرية (١٩٣٧ ميلادية) بعد التحقيق والتعليق عليها . يقول توفيق الطويل في كتابه (العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات علمية أخرى) : « وقد نقل كتاب محمد بن موسى الخوارزمي الجبر والمقابلة إلى اللاتينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر أدلارد أف باث **(Adelard Of Bath)** (ولعل توفيق الطويل يقصد روبرت أوف شستر ، وليس أدلارد أوف باث ، لأن ادلارد أوف باث نقل كتاب الخوارزمي في الحساب إلى اللغة اللاتينية ، وعرف في أوربا بالغوريثمي ، إلى درجة أن فن الحساب يعرف حتى يومنا هذا بالغوريثمي **Algoritmy** في أوربا) الذي درس العربية في مدارس الأندلس – ونشره تحت عنوان الغورتمي نسبة إلى اسم صاحبه العربي ، وترجمه كذلك في نفس القرنين جيرارد الكريموني وكان من الطريف الغريب أن ترجم لفظ (الغورتمي) أى الخوارزمي في العربية وباللوغاريتمات ، ووجه الأصالة في هذا الفرع من الرياضيات – الجداول الخوارزمية التي ترجمناها خطأ باللوغاريتمات – أن صاحبها العالم العربي هو الذي بدأها وهو الذي أنهاها ، فلم يشاركه في وضعها ولا تطويرها أحد سواه . وحديثا نشر الدكتوران : علي مصطفى مشرفة ومحمد مرسي أحمد هذا الكتاب بالقاهرة عام ١٩٣٧ ميلادية » .

كذلك أوجد الخوارزمي رموزا للجذور والمربع والمكعب والمجهول وطورها من جاء بعده من علماء العرب والمسلمين . ويجدر بنا هنا أن نذكر بعض المصطلحات التي وردت في كتاب العالم الرياضي المسلم أبو الحسن علي بن محمد القلصادي (ت ١٤٨٦ ميلادية) الذي سماه (كشف المحجوب في علم الغبار) وهي :

* للمجهول الحرف الأول من كلمة شيء أى (ش) .
* ولمربع المجهول الحرف الأول من كلمة مال أى (م) .
* ولمكعب المجهول الحرف الأول من كلمة كعب (ك) .
* والعدد المفرد هو الحد الخالي من المجهول .
* ولعلامة « يساوى » استعمل حرف (ل) .
* وعلامة الجمع كانت عطفا بلا واو .
* لعلامة الجذر ـــــــ الحرف الأول من كلمة جذر (ج) مثل $\frac{\text{جـ}}{\text{٣٦}}$ تعني ٣٦
* وللنسبة ∴ أى ما يقبل (؛) .

يقول بهاء الدين العاملي في كتابه (خلاصة الحساب) « يسمى المجهول شيئا ، ومضروبة في نفسه مالا ، وفيه كعبا ، وفيه مال المال ، وفيه مال الكعب ، وفيه كعب الكعب ، إلى غير النهاية » . وأضاف العاملي : « وإن كان استثناء يسمى المستثنى منه زائداً ، والمستثنى ناقصا ، وضرب الزائد في مثله والناقص في مثله زائدا ، والمختلفين ناقصا ، فمضروب عشرة وشيء في عشرة إلا شيء يساوى مائة إلا مالا » . أى في لغة العصر الحديث تصير (١٠ + س) (١٠ − س) = ١٠٠ − س^{٢} .

مثـال :

م ش
٣ ٧ل ٧٥ وهذه تقابل في الرموز الحديثة
٣ س^{٢} + ٧ س = ٠٧٥ وكذلك .
م ش
٢ ل ٣ ١٣ تدل على ٢ س^{٢} = ٣ س + ١٣ .

من هذا المنطلق نرى أن الخوارزمي قسم الكميات الجبرية إلى ثلاثة أنواع : جذر ، أى (س) ومال يعني به (س^{٢}) ومفرد وهو العدد أو الكمية الخالية من (س) . كما طور استعمال الرموز بعض علماء المسلمين المتأخرين مثل القلصادي (من مشاهير علماء الرياضيات عاش فيما بين ٨١٣ − ٨٩١ هجرية الموافق ١٤١٠ − ١٤٨٦ ميلادية ولد في بسطة في الأندلس وتوفي في « باجة » في تونس) حتى صارت أقرب إلى الرموز الجبرية الحديثة . ومن المؤسف حقا أن معظم علماء الغرب ومقلديهم من علماء العرب المحدثين يزعمون جهلا أن العالم الفرنسي فرانسيس فيت (Francis Viete) الذي عاش فيما بين (٩٤٦ − ١٠١١) هجرية (١٥٤٠ − ١٦٠٣) ميلادية هو مبتكر الرموز والإشارات الرياضية مثل (+) لزائد و (−) لناقص . ونسي هؤلاء ما قدمه علماء بابل وعلماء المسلمين للبشرية في هذا المضمار ، وما لاستعمال الرموز الجبرية من أثر عظيم في تقدم الرياضيات العالية ، على اختلاف فروعها عبر التاريخ ، وخاصة في العصور الوسطى .

وشرح الخوارزمي ستة أنواع من معادلات الدرجة الثانية مع حلولها كما شرح العمليات الأربع في الجبر ، أى جمع الكميات الجبرية وطرحها وضربها وقسمتها .. وأوجد الخوارزمي حجوم بعض الأجسام الهندسية البسيطة كالهرم الثلاثي والهرم الرباعي والمخروط ، وقال فلورين كاجورى في كتابه (مبادىء تاريخ الرياضيات) : « إن حل المعادلات التكعيبية بواسطة قطوع المخروط من أعظم الأعمال التي قام بها علماء المسلمين وفي مقدمتهم عملاق القرون الوسطى في علم الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمي » . كما أن الخوارزمي كان على معرفة تامة بالكميات التخيلية . فلقد جاء في كتابه (حساب الجبر والمقابلة) : واعلم أنك إذا نصفت الأجذر وضربتها في مثلها فكان ذلك يبلغ أقل من الدرهم التي مع المال فالمسألة مستحيلة » . وأضاف عمر رضا كحالة في كتابه (العلوم البحتة في العصور الإسلامية) بقولة : « تنبه الخوارزمي إلى الحالة التي يكون فيها الجذر كمية تخيلية ، وذلك بحسب التعبير الرياضي الحديث ، لا يكون هناك حل

للمعادلة وأتى على طرق هندسية مبتكرة في حل بعض معادلات الدرجة الثانية » .

الخوارزمي :

عاش محمد بن موسى الخوارزمي في بغداد فيما بين سنة ١٦٤ وسنة ٢٣٥ هجرية (٧٨٠ - ٨٥٠ م) وتوفي هناك ، وقد برز في زمن خلافة المأمون ، ولمع في علم الرياضيات والفلك حتى عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة . ويقول عبد الرازق نوفل في كتابه (المسلمون والعلم الحديث) : « في القرن الثامن الميلادي احتضن المأمون محمد بن موسى الخوارزمي عندما ظهر نبوغه الفذ في الرياضة والفلك ، وولاه أمانة بيت الحكمة ووضع تحت أمره المال والرجال والعدة والعتاد والإقامة والارتحال إلى أى بلد شاء . طالما كان هدفه الدرس والبحث .. فيما يشتاق إليه من رياضة وحساب وفلك » . طور الخوارزمي علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب ، ولذا ينسب إليه هذا العلم في جميع أنحاء المعمورة .

طور الخوارزمي في بيت الحكمة الفكر الرياضي بإيجاد نظام لحل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية . لذا يعتبر الجبر والمقابلة للخوارزمي هو أول محاولة منظمة لتطوير علم الجبر على أسس علمية منطقية . ولذا ميز الأستاذ جورج سارتون النصف الأول من القرن التاسع بعصر الخوارزمي في كتابة (مقدمة في تاريخ العلوم) : « لأن الخوارزمي كان أعظم رياضي في ذلك العصر » ، ويستطرد سارتون : « وإذا أخذنا جميع الحالات بعين الاعتبار فإن الخوارزمي أحد أعظم الرياضيين في كل العصور » . وأكد الدكتور أى وايدمان أن أعمال الخوارزمي تتميز بالأصالة والأهمية العظمى وفيها تظهر عبقريته . وقال الدكتور ديفيد يوجين سمث ولويس شارلز كاربينسكي في كتابهما (الأعداد الهندية والعربية) : « بأن الخوارزمي هو الأستاذ الكبير في عصر بغداد الذهبي إذ أنه أحد الكتاب المسلمين الأوائل الذين جمعوا الرياضيات الكلاسيكية من الشرق والغرب ، محتفظين بها حتى استفادت منها أوربا المتيقظة آنذاك . إن لهذا الرجل معرفة كبيرة ، ويدين له العالم بمعرفتنا الحالية لعلمي الجبر والحساب » .

ولعل من المفيد أن نذكر الفقرة التي جاءت في مطلع كتاب الخوارزمي عن (الجبر والمقابلة) ، والتي تبين شخصيته وهي : « لم يزل العلماء في الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب مما يصفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة ، نظرا لمن بعدهم واحتسابا للأجر بقدر الطاقة ، ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره وذكره ، ويبقى لهم من لسان الصدق ما يصغر في جنبه كثيرا مما كانوا يتطلبونه من المؤونة ، ويحملونه على أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه ، وإما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجا قبله فورثه من بعده ، وإما رجل شرح مما أبقى الأولون مما كان مستغلقا فأوضح طريقه وسهل مسلكه وقرب مأخذه وإما رجل وجد في بعض الكتب خللا فلم شعثه ، وأقام أوده وأحسن الظن بصاحبه غير راد عليه ولا مفتخر بذلك من فعل نفسه » .

وقد حدثت تغييرات عديدة في اسمه عند الغربيين بعد وفاته حيث ترجم اسم « الخوارزمي » إلى اللاتينية كـ **(Alchwarizmi)** و **(Al-Karismi)** **(Algoritmi)** و **(Algorismi)** و **(Algorism)** وفي عام ١٨٥٧ ميلادية عثر على كتاب بعنوان **(Algorithmi de numero Indorum)** في مكتبة جامعة كمبردج البريطانية ، فأجمع علماء الرياضيات في العالم بأن هذا كتاب الخوارزمي في علم الحساب وقد ترجم إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي . وقد علق المؤلف محمد خان في كتابه (نظرة لمآثر المسلمين في العلوم والثقافة) : « إن الخوارزمي يقف في الصف الأول من صفوف الرياضيين في جميع العصور . وكان مؤلفاته هي المصدر الرئيسي للمعرفة الرياضية لعدة قرون في الشرق والغرب » .

وقد عرف عمل الخوارزمي عند أوربا عندما ارتبط اسمه باسم حساب اللوغاريتمات **(Algorism)** . كما أن عمله في علم الجبر لم يعط اسما لهذا الفرع الهام من فروع الرياضيات لأوربا فحسب ، وإنما أضاف إليه الحلول التحليلية والهندسية للمعادلات ذات الدرجة الأولى والثانية . ويقول الدكتور علي مصطفى مشرفة – نقلا عن عبد الرزاق نوفل في كتابه (المسلمون والعلم الحديث) : « ليس الخوارزمي واضعا لعلم الجبر فحسب ، بل إنه يتضح أن انتشار هذا العلم في الشرق والغرب إنما يرجع الفضل فيه بعد إرادة الله إلى كتاب الخوارزمي ، الذي صار المرجع الأول للمؤلفين والمترجمين من عرب وأعاجم ولذلك يحق لنا أن نقول أن الخوارزمي هو واضع علم الجبر ومعلمه للناس أجمعين » .

إن الرياضيات التي ورثها المسلمون عن اليونان تجعل حساب التقسيم الشرعي للممتلكات بين الأبناء معقدا للغاية ، إن لم يكن مستحيلا ، وهذا قاد الخوارزمي للبحث عن طرق أدق وأشمل وأكثر قابلية للتكيف فاستعمل علم الجبر ، وقد وجد الخوارزمي متسعا من الوقت لكتابة علم الجبر الذي جعله مشهورا حينما كان منهمكا في الأعمال الفلكية في بغداد . ويختص كتابه (الجبر والمقابلة) في إيجاد حلول لمسائل عملية واجهها المسلمون في حياتهم اليومية . وقد ذكرنا في كتابنا (إسهام علماء المسلمين في علم الرياضيات) : « أن الجبر يقصد بها إضافة حدود موجبة تساوي في كميتها الحدود السالبة إلى طرفي المعادلة . أما المقابلة فتعني جمع الحدود المتشابهة . ولايضاح معنى الجبر والمقابلة يجب أن نتأمل المثال التالي :

$$س^{٢} + ٥\,س + ٤ = ٤ - ٢\,س + ٥\,س^{٣}$$

الجبر (أي النقل) تصبح المعادلة :

$$س^{٢} + ٧\,س + ٤ = ٤ + ٥\,س^{٣}$$

المقابلة (الحذف والاختزال) تصبح المعادلة :

$$س^{٢} + ٧\,س = ٥\,س^{٣}$$

كان الأوروبيون يستعملون مصطلحا آخر للجبر مثل « كوسيكا » **(Cossica)** أو بمصطلح « قاعدة الشيء » **(Rules of the Cosa)** وفي بعض مؤلفات إنجليزية قديمة استخدموا المصطلح **(Cossic Art)** وقد أدخل هذا المصطلح العالم الرياضي المشهور « اكسلاندر » **(Xylander)** في القرن الخامس عشر الميلادي وهذا المصطلح يعني

شيئا في اللغة الإيطالية . ويقول الدكتور ديفيد يوجين سميث في كتابه (تاريخ الرياضيات) المجلد الثاين : « إن الجبر عرف في اللغة الانجليزية في القرن السادس عشر الميلادي بالجبر والمقابلة ، ولكن هذا الاسم اختصر في النهاية بكلمة (الجبر) . ولقد كان الأصل المكتوب باللغة العربية كتاب الخوارزمي (الجبر والمقابلة) مفقودا ، ولكن جيرارد الكريموني (Gerad of Cremona) قد ترجم النص الأصلي من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي ، وعرفت بالاسم اللاتينـي (Lulus algebrae et almucqrabalae que) عند أوربا ثم اختصر العنوان أخيرا إلى كلمة (Algebra) وهى الاسم المعترف به في جميع لغات العالم في المعمورة .

وظل كتاب الخوارزمي في الجبر معروفا في أوربا باللغة اللاتينية إلى أن سخر الله تبارك وتعالى الباحثين الغربيين إلى العثور على أحد نصوص الكتاب باللغة العربية في مخطوطة محفوظة في اكسفورد (مكتبة بودلين) ، وصدرت في نشرة عربية بالحروف المطبعية عام ١٨٣١ ميلادية . واعترف المؤلف المعروف رام لاندو في كتابه (مآثر العرب في الحضارة) : « بأن الخوارزمي ابتكر علم الجبر ونقل العدد من صفة البدائية الحسابية لكمية محدودة إلى عنصر ذي علاقة وجدود « لا نهاية » لها من الاحتمالات . ويمكننا القول بأن الخطوة من الحساب إلى الجبر هي في جوهرها الخطوة من الكينونة إلى الملائمة ، أو من العالم الاغريقي الساكن إلى العالم الإسلامي المتحرك الأبدي الرباني » . وأضاف توفيق الطويل في كتابه (العرب والعلم في عصر الإسلام الذهبي ودراسات أخرى) : « أن الخوارزمي أول من أطلق على علم المعادلات اسم علم الجبر ، ولا يزال الفرنجة يحتفظون حتى اليوم باسمه العربي (Algebra) . وقد كان أول من كتب فيه على نهج علمي » . ويقول محمد عبد الرحمن مرحبا في كتابه (الموجز في تاريخ العلوم عند العرب) : « وقد كان لكتاب الجبر والمقابلة أثر كبير في تقدم علم الجبر عند العرب والأوربيين ، بحيث أنه ليحق لنا أن نقول أن الخوارزمي وضع علم الجبر – كما وضع علم الحساب – للعالم أجمع » .

والذي دفع عالمنا المسلم الخوارزمي إلى تأليف كتابه (الجبر والمقابلة هو سد الاحتياجات العملية للناس التي تتعلق بالميراث وتقسيم الممتلكات والتجارة . ولقد درس علم الفرائض ، وهو علم الحصص الشرعية للورثاء الطبيعيين . كما ذكر المؤلف فاندز في كتابه (مصدر جبر الخوارزمي) : « إن جبر الخوارزمي يعتبر القاعدة وحجر الأساس لكل العلوم . ومن ناحية أخرى فإن الخوارزمي أحق من ديوفانتس بأن يلقب بأبي الجبر ، لأن الخوارزمي هو أول من درس الجبر في صورة بدائية ، أما ديوفانتس فكان مهتما بصورة رئيسية بنظرية الأعداد وقد بين الخوارزمي في مقدمة كتاب الجبر والمقابلة : أن الخليفة المأمون هو الذي طلب منه أن يؤلف كتاب الجبر والمقابلة كي يسهل الانتفاع به في كل ما يحتاج إليه الناس » . وهنا نورد نص مقدمة كتاب الجبر والمقابلة) : « وقد شجعنا ما فضل الله به الإمام (المأمون) أمير المؤمنين مع الخلافة ، التي حاز له

أرثها ، وأكرمه بلباسها ، وحلاه بزينتها ، من الرغبة في الأدب وتقريب أهله وإدنائهم ، وبسط كنفه لهم ، ومعونته إياهم على إيضاح ما كان مشتبها وتسهيل ما كان مستوعرا ، على أني ألفت من كتاب الجبر والمقابلة كتابا مختصرا ، حاصرا للطيف الحساب وجليله ، لما يلزم الناس من الحاجة إليه في موارثهم ووصاياهم ، وفي مقاسماتهم وتجاراتهم ، وفي جميع ما يتعاملون به بينهم من مساحة الأراضي وكرى الأنهار والهندسة ، وغير ذلك من وجوهه وفنونه ، مقدما لحسن النية فيه ، راجيا لأن ينزله أهل الأدب بفضل ما استودعوا من نعم الله تبارك وتعالى وجليل آلائه وجميل بلائه عندهم منزلته ، وبالله توفيقي في هذا وفي غيره ، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

ويمتدح أبو كامل شجاع بن أسلم الحاسب المصري كتاب الجبر والمقابلة لمحمد بن موسى الخوارزمي إلى درجة أنه فضله على انتاجه بهذا المضمار . فيقول في كتابه (الجبر والمقابلة) : « إن كتاب محمد بن موسى الخوارزمي المعروف بكتاب الجبر والمقابلة أصحها أصلا ، وأصدقها قياسا ، تحقيقه مما يجب علينا من التقدمة والإقرار له بالمعروف وبالفضل ، إذ كان السابق إلى كتاب الجبر والمقابلة والمبتدىء له ، والمخترع لما فيه من الأصول التي فتح الله لنا بها ما كان منغلقا . وقرب بها ما كان متباعدا ، وسهل بها ما كان معسرا ، ورأيت فيها مسائل ترك شرحها وإيضاحها ، ففرغت منها مسائل كبيرة يخرج أكثرها إلى غير الضروب الستة التي ذكرها الخوارزمي في كتابه ، فدعاني إلى كشف ذلك وتبيينه فألفت كتاب الجبر والمقابلة ، ورسمت فيه بعض ما ذكره محمد بن موسى الخوارزمي في كتابه ، فبينت شرحه وأوضحت ما ترك الخوارزمي إيضاحه وشرحه » .

إن بعض المهتمين في تاريخ العلوم يرددون على آذاننا من حين لآخر أن الخوارزمي استفاد من كتاب ديوفانتوس في صناعة الجبر ، الذي كان في اللغة اليونانية ، والذي عرف عن الخوارزمي أنه لا يجيد هذه اللغة . ويقول ياسين خليل في كتابه (التراث العلمي العربي) : « من الخطأ الاعتقاد أن جبر الخوارزمي متأثر بالجبر الذي وضعه ديوفانتوس وذلك لعدم وجود الدليل ، إذ لم يذكر الخوارزمي في كتابه اسم ديوفانتوس ، وكان من عادة العلماء العرب في هذه الفترة أن يذكروا بأمانة ما أخذوه من العلوم الأجنبية مع ذكر فضل العلماء الآخرين عليهم . كما أن المقارنة البسيطة بين أسلوب أو طريقة الخوارزمي مع طريقة ديوفانتوس تبين بوضوح البعد الشاسع بينهما . وإضافة إلى ما تقدم فإن كتاب ديوفانتوس في صناعة الجبر لم يكن مترجما إلى العربية في أيام الخوارزمي ، وأن أول ترجمة له قد تمت على يد قسطا بن لوقا المتوفي سنة ٩١٢ ميلادية ، وهذه سنة تشير إلى طول المدة الفاصلة بين وفاة الخوارزمي ووفاة لوقا » .

ولقد لعبت أعمال الخوارزمي في علم الرياضيات في الماضي والحاضر دورا مهما في تقدم الرياضيات لأنها إحدى المصادر الرئيسية التي انتقل خلالها الجبر والأعداد العربية إلى أوربا ، ويجدر بنا أن نفخر نحن المسلمين بأن علم الجبر من أعظم

ما اخترعه العقل البشري من علوم ، لما فيه من دقة وأحكام قياسية عامة ، ولا يكفي العـرب والمسلمين فخرا أن أحدهم هو أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي هو الذي وضع قواعده الأساسية وأصوله الابتدائية كما نعرفها اليوم . بل يجب أن يتبعوا منواله في الجد والكد والبحث والعمل على اكتشاف القوانين الكونية التي خلقها الله عز وجل حتى يقوى إيماننا على علم وبصيرة .

الطفل ونصيبه من اهتمام وسائل الإعلام المختلفة

(دراسة أعدت للندوة التي عقدت بمؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية بتاريخ ١٤١١/٥/٩هـ)

الأستاذ الدكتور / حسن محمد باجودة – أستاذ الدراسات الإسلامية
بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

أولا : الطفـــل :

قال الشاعر العربي[١] قديماً

وإنمـــا أولادنـــا بيننـــا
أكبـادنا تمشـي على الأرض

ويقال : الولد فلذة من الكبد ، أي قطعة والمعنى : أولادنا وهي ماشية على الأرض بيننا أكبادنا[٢] ولا يلام أحد على فرط اهتمامه بفلذة كبده ، بل اللوم كل اللوم لو كان ثمة تفريط . ومن ألطف ما يمكن الإشارة إليه أن القرآن الكريم الذي أوصى الأبناء كثيرا ببر الوالدين لم يجيء فيه سوى وصية واحدة للآباء في حق الأبناء وهذه الوصية الوحيدة هي المتعلقة بالمال أو بالميراث ووجوب عدل الآباء في حق الأبناء ، وذلك في قوله تعـالى[٣] ﴿ **يُوصِيكُمُ اللهُ في أولادِكُمْ للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ** ﴾ ومن البين أن هذه الوصية الوحيدة للآباء في حق الأبناء متعلقة بالمال أي بشيء مادي وخارجي عن ذات الإنسان ، وليس له علاقة بالحب الفطري ، من الآباء والأمهات للبنين والبنات . والمعروف أن دين الإسلام هو دين الرحمة ، وأن المصطفى ﷺ هو رحمة الله تعالى المهداة ونعمته المسداة ، وقد قال تعالى[٤] ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِين** ﴾ وإن لنا نحن المسلمين أسوةً حسنة في المصطفى ﷺ في كل مناحي الحياة ، ومنها ميدان الرحمة وبخاصة رحمته عليه الصلاة والسلام للصغار روى البخاري[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قبل الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : من لا يَرحم لا يُرحم .

---

(١) الشاعر هو الخطاب أو حطان بن المعلي انظر شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ص ٢٨٨ الحماسية رقم ٨٦ .
(٢) أبو تمام : الحماسة بشرح المرزوقي ص ٢٨٨ .
(٣) سورة النساء : ١١ .
(٤) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٥) صحيح البخاري ٩/٨ .

وروى البخاري[٦] عن أبي قتادة قال : خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه ، فصلى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها . قوله : وأمامة بنت أبي العاص ، أي ابن الربيع وهي ابنة زينب بنت النبي ﷺ[٧] وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : تقبلون الصبيان فما نقبلهم فقال النبي ﷺ : أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة[٨] قوله أَوَ أملك : هو بفتح الواو والهمزة الأولى للاستفهام الانكاري ومعناه النفي أي لا أملك أي لا أقدر أن أجعل الرحمة في قلبك بعد أن نزعها الله منه[٩] وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ويقعد الحسن بن علي على فخذه الآخر ، ثم يضمهما ثم يقول : اللهم ارحمهما فإني أرحمهما[١٠] وعن أنس : أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه[١١] وإبراهيم هو ابن النبي ﷺ من مارية القبطية[١٢] وسأل رجل ابن عمر عن دم البعوض فقال : ممن أنت ؟ قال : من أهل العراق قال : انظروا إلى هذا الذي يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن النبي ﷺ . وسمعت النبي ﷺ يقول : هما ريحانتاي من الدنيا[١٣] قوله : وقد قتلوا ابن النبي ﷺ يعني الحسين بن علي[١٤] والمعنى أنهما مما أكرمني الله وحباني به لأن الأولاد يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين . وقوله من الدنيا أي نصيبي من الريحان الدنيوي[١٥] .

وقد قال تعالى في صفة المصطفى ﷺ في سورة آل عمران[١٦] ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ولَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَاْ نفضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ واسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِين** ﴾ وقال تعالى في سورة التوبة[١٧] ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بالمؤمِنينَ رَءُوفٌ رَحِيم . فإنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللهُ لا إلٰه إلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴾ .

ثانيا : الإعــلام :

إذا أردنا أن نصف الإعلام استطعنا أن نقول إنه الوسيلة التي يتم عن طريقها إيصال المعلومات

(٦) نفس المرجع ٨/٨ وفتح الباري ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٧ .
(٧) فتح الباري ٤٢٩/١٠ .
(٨) صحيح البخاري ٩/٨ وفتح الباري ٤٢٦/١٠ حديث رقم ٥٩٩٨ .
(٩) فتح الباري ٤٣٠/١٠ .
(١٠) فتح الباري ٤٣٤/١٠ حديث رقم ٦٠٠٣ .
(١١) فتح الباري ٤٢٦/١٠ .
(١٢) فتح الباري ٤٢٧/١٠ .
(١٣) فتح الباري ٤٢٦/١٠ حديث ٥٩٩٤ .
(١٤) فتح الباري ٤٢٧/١٠ .
(١٥) فتح الباري ٤٢٧/١٠ .
(١٦) سورة آل عمران : ١٥٩ .
(١٧) سورة التوبة : ١٢٨ ، ١٢٩ .

التي يراد إيصالها إلى فئات معينة من الناس بوسائل الإعلام المختلفة من كلمة مكتوبة ومسموعة وصورة من أجل تكوين رأي عام معين لدى هذه الفئات بقصد الوصول إلى غاية بعينها ، ومن أهم هذه الفئات وأخطرها الأطفال ومن أهم وسائل الكلمة المكتوبة الكتابة ، ومن أهم وسائل الكلمة المسموعه المذياع ، ومن أهم وسائل الكلمة المسموعه والصورة المرئية معا التلفاز والفيديو . ومن أهم وسائل الكلمة المقروءة والصورة المرئية معا قصص الأطفال وما إليها .

وقبل أن نتحدث عن الطفل ونصيبه من وسائل الإعلام المختلفة نود أن نتحدث عن هذا الإعلام الإسلامي الذي نود أن نوجهه إلى الأطفال فنملأ به نفوسهم ، ونشحذ به عقولهم ، ونغذي به أرواحهم ، كي يتحقق فيهم بأذن الله تعالى قوله عز من قائل[١٨] : ﴿ **والذين يقولون ربَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزْوَاجنا وذُرِّياتنا قُرَّةَ أعْيُنٍ واجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إماماً** ﴾ .

الإعـــلام الإســـلامي :

المراد بالإعلام الإسلامي تسخير الوسائل التي يتوسل بها الإعلام من أجل تحقيق المفهوم الإسلامي والتصور الإسلامي في شئون الدين والدنيا لدى الأمة الإسلامية جمعاء . والمعروف أن الدين الإسلامي يقدم الحق والخير على الجمال بمعنى أن ترتيب هذه العناصر على هذا النحو : حق ، خير ، جمال ، بينما تقدم كل الحضارات الجاهلية قديما وحديثا الجمال على كل من الحق والخير . وحينما نقول إن الإسلام قدم الحق والخير على الجمال نحن نعني شيئا آخر وراء تقديم الإسلام الحق والخير ، وهو أن الإسلام أعطى الجمال حقه ووضعه في موضعه اللائق به وراء الحق والخير وبعبارة أخرى : إن الإسلام لم يهمل عنصر الجمال . إن كل مخلوق في هذا الوجود خلقه الله تعالى كي يقوم بوظيفته خير قيام له حظه المتفاوت من الجمال ولا نستثني الحشرة المؤذية من هذا الحظ المعين من الجمال ولو كانت الذبابة أو البعوضة ، ولو كانت العقرب أو الأفعى ، شريطة أن ننظر إلى كل منها وقد تناسينا أذاها ونفور نفوسنا منها[١٩] .

ونحن في سبيل أن نتمثل الميدان الرحب للإعلام الإسلامي الذي يعتبر الحق لحمته[٢٠] والخير سَداه[٢١] من أجل ملء نفوس الأطفال إيمانا وقلوبهم يقينا ، وصدورهم بهجة ، ومن أجل شحذ عقولهم بصدق الحقيقة ، ورسم البسمة على شفاههم ، والنضرة[٢٢] على وجوههم ، في سبيل

---

(١٨) سورة الفرقان : ٧٤ .

(١٩) بعد كتابة هذه السطور قرأت في جريدة الشرق الأوسط في الصفحة الأخيرة بتاريخ ١٤١١/٥/٥هـ عن خبير الأفاعي الاسترالي الذي يعيش مع مائتي ثعبان سام قوله « إنه يحب الثعابين نفسها لأنها مخلوقات جميلة ومتناسقة » .

(٢٠) اللحمه ما نسج من الثوب عرضا وذلك بضم اللام .

(٢١) السدى ما نسج من الثوب طولا ، وذلك بفتح السين .

(٢٢) نضرة النعيم : رونقه وبريقه .

أن نتمثل الميدان الرحب للإعلام الإسلامي نود أن نقف على بعض استعمالات القرآن الكريم للفظة الجمال ولفظة الزينة وعلى بعض الآيات الكريمات التي تلفت الأنتباه إلى جلال مخلوقات الله تعالى وجمالها بحيث يبدو الكون كله متجانسا ومتناغما في حركاته واتجاهاته ، وبحيث يبدو كل ماسخره الله تعالى للإنسان في السماوات والأرض جاذبا هذا الإنسان إلى ربه جل وعلا الذي خلقه وسواه فعدله[٢٣] وذلك في أثناء رحلة الإنسان في هذه الحياة وسفره إلى الله تعالى . جاء في سورة الملك[٢٤] قوله تعالى : ﴿ **وَلَقَد زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً للشَّيَاطِينِ وأَعتَدنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ** ﴾ وجاء في سورة الصافات[٢٥] قوله تعالى ﴿ **إنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بزينَةٍ الكَواكِبِ** ﴾ وجاء في سورة فصلت[٢٦] قوله تعالى : ﴿ **وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذلِكَ تَقْدِيرُ العَزِيزِ العَلِيمِ** ﴾ ويلاحظ في آيتي الملك وفصلت تقديم ذكر المصابيح وهي زينة على الحفظ مما هو دليل على أن الإسلام لم يغفل الزينة والجمال وفي الوقت ذاته لم يضعهما فوق مرتبتهما المتأخرة عن الحق والخير . وجاء في سورة النحل[٢٧] قوله تعالى : ﴿ **خَلَقَ السَّماوَات والأَرْضَ بالحَقِّ تَعالَى عَمَّا يُشْرِكُون خَلَقَ الإنْسَانَ من نُطْفَةٍ فإذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ . وَالأنعامَ خلقَها لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تأْكُلُونَ . ولكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُريحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إلى بَلَدٍ لَمْ تكونُوا بالِغِيه إلاّ بِشقِّ الانفُس إنَّ رَبَّكُمْ لَرءوفٌ رحِيمٌ . وَالْخيلَ وَالْبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ، وَيَخْلُقُ مَالا تَعْلَمُونَ . وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيل وَمِنْهَا جائرٌ ، وَلَوْ شاءَ لَهَداكُمْ أَجمَعِينَ** ﴾ وجاء في سورة الأعراف[٢٨] قوله تعالى : ﴿ **يابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِباساً يُوارى سَوْءاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِباسُ التَّقوى ذلِكَ خَيْرٌ ، ذَلِكَ مِنْ آياتِ الله لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** ﴾ فاللباس ستر العورات وهي السوءات ، والرياش والريش ما يتجمل به ظاهرا . فالأول من الضروريات والريش من التكميلات والزيادات[٢٩] وجاء في سورة الأعراف[٣٠] كذلك قوله تعالى : ﴿ **يابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِد وَكُلُوا وَأَشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ**

---

(٢٣) عدَّله : جعله معتدل الخلق متناسب الأعضاء .

(٢٤) سورة المُلك : ٥ .

(٢٥) سورة الصافات : ٦ .

(٢٦) سورة فصلت : ١٢ .

(٢٧) سورة النحل : ٣ - ٩ .

(٢٨) سورة الأعراف : ٢٦ .

(٢٩) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢/٢٠٧ .

(٣٠) سورة الأعراف : ٣١ - ٣٣ .

زِينَةَ اللهِ التي أَخْرَجَ لِعِبادِهِ والطّيباتِ مِنَ الرّزقِ قُلْ هِيَ لِلّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا خالِصَةً يَوْمَ القِيامَةِ ، كَذلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَر مِنْهَا وَما بَطَنَ وَالْإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ ومعنى قوله ﴿ قُلْ هِيَ لِلّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ ﴾ أن الزينة التي أخرجها الله تعالى لعباده وكذلك الطيبات من الرزق طعاما وشرابا هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا وللمشركين ولكنها في يوم القيامة خاصة بالمؤمنين مقصورة عليهم وحدهم دون سواهم .

بقى علينا أن نقرر أن هذا الترتيب الذي يقول به النقل والعقل لهذه العناصر الثلاثة ، الحق والخير والجمال ، ظلّ العالم الإسلامي يستمسك به ولا زال يستمسك به باستثناء تلك الأصقاع من العالم الإسلامي التي كانت غرضا للاستعمار والتي ضعفت عن مقاومته وانهزمت أمامه ، لقد حدث في هذه الأصقاع قلب لترتيب هذه العناصر الثلاثة رأسا على عقب فتقدم عنصر الجمال أي الفساد والإنحلال الخلقي ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . إن التاريخ يقول : إن كل الحضارات إنما إنهارت بسبب تقديم عنصر الجمال على الحق والخير . وبما أن العالم الإسلامي لا يكاد ينجو جزء من أجزائه من تأثير المدنية الغربية عليه ، تلك المدنية المريضة بمقياس الإسلام ، وبما أن الإعلام الغربي هو الذي يتولى أكبر الترويج لتلك المدنية المريضة العليلة ، فإنا نودُّ أن نشير بايجاز إلى طبيعة الإعلام الغري الذي غزانا في عقر دورنا والذي لم ينج منه كبيرنا ولا صغيرنا وإلى الفلسفة التي يقوم عليها .

الإعــلام الغــربي :

الإعلام الغربي يجسد المدنية الغربية التي تقوم على طابعين إثنين ، طابع الفلسفة اليونانية واتجاهها المادي الوثني وطابع العداء للدين والحقد على رجاله وسلطاته[٣١] فإذا أضيف إلى ذلك أن المدنية الغربية خاضعة نظرتها إلى العالم الإسلامي لتأثير الحروب الصليبية استطعنا أن نفهم بداهة أن الإعلام الغربي لا يصح أن ينتظر منه أي مسلم لديه أدنى مُسكة[٣٢] من عقل أقل خير .

ومن البين أن هذا الإعلام الغربي هو الذي يملأ الساحة الإسلامية ، ومن البين كذلك أن أقل شرور هذا الإعلام الغربي يتمثل في تلك المواد المحايدة التي يقدّمها في مختلف وسائله ابتداء بالفيديو والتلفاز ، وأعني بالمواد المحايده تلك المواد التي لاتصطدم بعقيدتنا ولا بمثلنا وهي في الوقت ذاته لا تفيد شيئاً سوى ملء الفراغ أو الإمتاع . والمعروف أن هذا الإعلام الغربي بلغ الغاية في

(٣١) انظر هنا : من روائع حضارتنا للشيخ مصطفى السباعي ص ٥ المكتب الإسلامي دمشق وبيروت : الطبعة الثالثة .
(٣٢) المُسكة بضم الميم البقية والقليل من الشيء .

القدرة على قتل الوقت الذي هو أغلى من الذهب ، باستحواذه على حاستي السمع والبصر لدى الصغار ولدى الكبار . ولعل من الأدلة على هذه الحقيقة أن كلا منا مر عليه وقت من الأوقات حينما فاجأ أطفاله في مكانهم المخصص لمشاهدة التلفاز أو الفيديو وجدهم أو وجد بعضهم يحاكون بأتقان الحركات البهلوانية التي يشاهدونها أمامهم . بقى علينا أن نعرف أن التأثير النفسي على الصغار بخاصة أكبر من التأثير الحسي .

ويترتب على هذه الحقائق سؤال غاية في الأهمية وهو :

ما هو سبب هيمنة الإعلام الغربي على الأمة الإسلامية ؟ أهو قوة الإعلام الغربي أم ضعف الإعلام الإسلامي ؟ أم هما معا ؟ والجواب على ذلك معروف .. إن السبب في هذه الهيمنة هو قوة الإعلام الغربي وضعف الإعلام الإسلامي .

ولما كانت الأمة الإسلامية منذ فجرها ولعدة قرون هي التي تمثل قمة الحضارة الإنسانية وذلك حينما كانت تطبق بدقة تعاليم الدين الإسلامي ، ولما كانت هذه الأمة هي التي كانت تؤثر في غيرها ، فإنا بقصد أن نطرد اليأس عن نفوسنا وأن نعمل ونضاعف الجهود من أجل أن يعود إلى هذه الأمة الإسلامية مجدها الغابر وقدرتها على التأثير في غيرها ، نود أن نشير بإيجاز إلى بعض مظاهر تأثير المسلمين في الأمم الأخرى إعلاميا وحضاريا .

من مظاهر تأثير المسلمين في الأمم الأخرى :

نود أن نكتفي ببعض الاقتباسات والإيماءات في مجال تأثير المسلمين في غيرهم من الأمم إعلاميا وحضاريا على جهة الخصوص . يقول « رينو » في تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط : إن المسلمين في مدن الأندلس كانوا يعاملون النصارى بالحسنى ، كما أن النصارى كانوا يراعون شعور المسلمين فيختنون أولادهم ولا يأكلون لحم الخنزير[٣٣] وجاء في رسالة كاتب إسباني يأسى أشد الأسى لأهمال لغة اللاتين والإغريق والإقبال على لغة المسلمين ما يلي[٣٤] : « إن أرباب الفطنة والتذوق سحرهم رنين الأدب العربي فاعتقروا اللاتيتنية ، وجعلوا يكتبون بلغة قاهريهم دون غيرها » ، وساء ذلك معاصرا كان على نصيب من النخوة الوطنية أوفى من نصيب معاصريه فأسف لذلك مر الأسف وكتب يقول : « إن إخواني المسيحين يعجبون بشعر العرب وأقاصيصهم ، ويدرسون التصانيف التي كتبها الفلاسفة والفقهاء المسلمون ، ولا يفعلون ذلك لإدحاضها والرد عليها بل لاقتباس الأسلوب العربي الفصيح فأين اليوم من غير رجال الدين ، من يقرأ التفاسير الدينية للتوراة والإنجيل ؟ وأين اليوم من يقرأ الأناجيل وصحف الرسل والأنبياء ؟

وأسفاه ! إن الجيل الناشيء من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً أو لغة غير الأدب العربي

(٣٣) د. مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ٩٢ .
(٣٤) نفس المرجع : ٥٦ .

واللغة العربية وإنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة بأغلى الأثمان ويترنمون في كل مكان بالثناء على الذخائر العربية ، في حين يسمعون بالكتب المسيحية فيأنفون من الإصغاء إليها محتجين بأنها شيء لا يستحق منهم مئونة الإلتفات ، فياللأسى ! إن المسيحيين قد نسوا لغتهم فلن تجد فيهم اليوم واحدا في كل ألف يكتب بها خطاباً إلى صديق . أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب ، وقد ينظمون بها شعرا يفوق شعر العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء » .

قال تعالى :[٣٥] ﴿ **وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ . وإليك ما يقوله ابن جبير[٣٦] عن الملك غليام ملك صقلية : « وهو يتشبه في الإنغماس في نعيم الملك وترتيب قوانينه ووضع أساليبه وتقسيم مراتب رجاله وتفخيم أبهة الملك وإظهار زينته بملوك المسلمين ... ومن عجيب شأنه المتحدث به أنه يقرأ ويكتب بالعربية » ويقول عنه في موضع آخر من رحلته[٣٧] : « وأما جواريه وحظاياه في قصره فمسلمات كلهن . ومن أعجب ما حدثنا به خديمه المذكور وهو يحيى بن فتيان الطراز ، وهو يطرز بالذهب في طِراز الملك[٣٨] : أن الأفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة ، تعيدها الجواري المذكورات مسلمة ، وهن على تكتم من ملكهن في ذلك كله ، ولهن في فعل الخير أمور عجيبة . وأعلمنا أنه كان في هذه الجزيرة زلازل مرجفة ذعر لها هذا المشرك فكان يتطلع في قصره فلا يسمع إلا ذكر الله ورسوله من نسائه وفتيانه . وربما لحقتهم دهشة عند رؤيته فكان يقول لهم : ليذكر كل أحد منكم معبوده ومن يدين به ، تسكينا لهم » .

ويقول ابن جبير عن ملك مدينة ثرمة في جزيرة صقلية[٣٩] : « فخرج إلينا ذلك المستخلف[٤٠] يتهادى بين خديمين يحفان به ويرفعان أذياله ، فأبصرنا شيخا طويل السبلة[٤١] أبيضها ذا أبهة ، فسألنا عن مقصدنا وعن بلدنا بكلام عربي لين فأعلمناه ، فأظهر الاشفاق علينا وأمر بانصرافنا بعد أن أحفى في السلام والدعاء فعجبنا من شأنه .

وكان أول سؤاله لنا عن خبر القسطنطينية العظمى وما عندنا منه ، فلم يكن عندنا ما نعلمه به ، وقد نقيد خبرها بعد هذا » .

ويقول ابن جبير عن كنيسة هذه المدينة وعن التأثير الإسلامي فيها[٤٢] وزي النصرانيات في

---

(٣٥) سورة آل عمران : ١٤٠ .
(٣٦) ابن جبير ، أبو الحسين محمد ، ٥٣٩ - ٦١٤ هـ : رحلة ابن جبير ص ٢٩٨ .
(٣٧) نفس المرجع : ص ٢٩٩ .
(٣٨) الطراز بكسر الطاء الموضع الذي تنسج فيه الثياب .
(٣٩) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٣٠٤ .
(٤٠) يريد الملك الذي شاء الله تعالى له أن يكون حاكما .
(٤١) السبلة : ما على الشارب من الشعر .
(٤٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٣٠٧ .

هذه المدينة زي نساء المسلمين فصيحات الألسن ملتحفات ، منقبات خرجن في هذا العيد المذكور وقد لبسن ثياب الحرير المذهب والتحفن اللحف الرائقة ، وانتقبن بالنقب الملونة[٤٣] ، وانتعلن الأخفاف المذهبة ، وبرزن لكنائسهن أو كُنُسهن[٤٤] حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلي والتخضب والتعطر » .

وبشأن خبر القسطنطينية العظمى الذي أومأ إليه ابن جبير وقال بشأنها « وقد نقيد خبرها بعد هذا » أشار إليه ابن جبير في الصفحات ٣١٠ ، ٣١٣ ، وموجزه أنه ذاع في صقلية أن المسلمين فتحوا القسطنطينية وأن حاكم أطرا بنش جهز أسطولا بحريا ضخما لا يعرف أحد وجهته على جهة التحديد ، وقد أشار إلى أحد هذه الأراء في القول[٤٥] : « ومنهم من يرى أن احتفاله إنما هو لقصد القسطنطينية العظمى بسبب ما ورد من قبلها من النبأ العظيم الشأن ، المهدى للنفوس بشائر تتضمن عجائب من الحدثان ، وتشهد للحديث المأثور عن المصطفى ﷺ بصدق البرهان » ويقول ابن جبير[٤٦] عن ذلك الخبر أن ملك القسطنطينية توفي وترك ولدا صغيرا فثار عليه عمه وهم بقتله ولكن ابنا للثائر عطف على ولد الملك المتوفي فأطلق سبيله . وقد وصل ذلك الولد إلى صقلية وهنالك أكرمه الملك غليام ، وكان لهذا الولد أخت موصوفة بالجمال أراد ابن العم التأثر أن يتزوجها فلم يتمكن بسبب أن الروم لا تنكح في الأقارب فأخذها وتوجه بها إلى الأمير مسعود صاحب الدروب وقونيه وبلاد العجم المجاورة للقسطنطينية وكان صاحب القسطنطينية يؤدي إليه الجزيه وهنالك أسلما وتزوجا : « وأخذ جيوش المسلمين معه إلى القسطنطينية فدخلها بهم وقتل من أهلها نحو الخمسين ألفا من الروم ... واستولى المسلمون على القسطنطينية ونقلت أموالها كلها ، وهي مالا يأخذه الإحصاء إلى الأمير مسعود وجعل من المسلمين فيها ما ينيف على الأربعين ألف فارس ، واتصلت بلادهم بها . وهذا الفتح إذا صح ، من أكبر شروط الساعة والله أعلم بغيبه »[٤٧] .

ولما كان هذا الفتح لما يتحقق بعد وكان ابن جبير يدون رحلته في هيئة يوميات فقد علق على هذه الأحداث التي ذكرها بالقول[٤٨] : « وهذا الخبر القسطنطيني ، حققه الله ، من أعظم عجائب الدنيا وكوائنها المرتقبه ، ولله القدرة البالغة في أحكامه وأقداره » والمعروف أن القسطنطينية فتحها السلطان العثماني محمد الفاتح سنة ٨٥٣ الموافق ١٤٥٣م .

---

(٤٣) النُقُب بضمتين جمع النقاب وهو القناع تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها .

(٤٤) الكُنُس بضمتين ، جمع الكِناس بكسر الكاف وهو بيت الظبي .

(٤٥) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٣١٠ .

(٤٦) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٣١١ ، ٣١٢ .

(٤٧) نفس المرجع : ص ٣١٢ .

(٤٨) نفس المرجع : ص ٣١٣ .

والذي يعنينا من الخبر القسطنطيني هو أن المسيحيين كانوا على علم بصدق الحديث النبوي الشريف الذي يبشر فيه المصطفى ﷺ المسلمين والذي يثنى فيه على الأمير وعلى الجيش الذي يفتحها وكانوا مشفقين من تحقق معنى هذا الحديث النبوي الشريف ، مستعدين لتصديق أي نبأ عن فتح المسلمين القسطنطينية وكل ذلك دليل على عزَّة الإسلام من ناحية ، وعلى كون أعداء الإسلام ينظرون إلى الإسلام وأهله نظرة إكبار وإجلال .

وبعد هذه الجولة مع تأثير الإسلام والمسلمين في الأمم الأخرى وبعض مظاهره نتحول إلى طفلنا ونصيبه من الإعلام .

الطفل ونصيبه من وسائل الإعلام :

بين يدي حديثنا عن الطفل ونصيبه من وسائل الإعلام نود أن نحدد ميادين حديثنا عن وسائل الإعلام وأن نشير إلى وظيفة كل منها .

أما ميادين حديثنا فإنها تتعلق بما يلي :

١ - الكتاب أو الكلمة المقرؤة .
٢ - المذياع أو الكلمة المسموعة .
٣ - التلفاز والفيديو أو الكلمة المسموعة والصورة المرئية معا .

فإذا تحولنا إلى وظيفة كل من هذه الوسائل الثلاث أو دور كل منها استطعنا أن نقول ابتداء : إنَّ الكتاب أو الكلمة المقروءة تمتاز بقدرتها على القيام بكل الوظائف التي يريد الإعلام أن يحققها ، وليس كذلك المذياع أو التلفاز والفيديو . وتفسير ذلك أن الكتاب يقوم بدور التلفاز والفيديو حينما يجمع بين الكلمة المقروءة والصورة المرئية ويحقق المعرفة أو الثقافة التي يقف عندها التلفاز والفيديو ولا يتعديانها ، كما أن الكتاب يقوم بدور المذياع في تحقيق المعرفة أو الثقافة . ووراء ذلك ينفرد الكتاب بكونه الوسيلة الأكيدة والوحيدة لتكوين العالم والباحث في مجال العلوم النظرية أساسا .

فإذا تحولنا إلى المذياع تبينا أنه يمتاز بحسن استغلاله لأهم حواس المعرفة وأقواها وهي حاسة السمع . وبسبب تركيز المذياع على حاسة واحدة تعتبر أهم الحواس في مجال المعرفة والعلم كانت قدم المذياع أرسخ في تحقيق المعرفة والثقافة .

فإذا تحولنا إلى التلفاز وكذلك الفيديو تبينا أنه يمتاز بأنه الوسيلة الوحيدة التي تستغل على درجة كبيرة من التساوي لأهم حاستي المعرفة والثقافة وهما حاستا السمع والبصر . ومن البين أنك تستطيع أن تتعامل مع التلفاز والفيديو كما تتعامل مع المذياع بأن تعتمد على حاسة السمع وحدها التي تحقق جزءا كبيرا من هدف التلفاز والفيديو وأن تعتمد على حاسة العين وحدها ولكنها في هذه الحال تحقق جزءا محدودا من هدف التلفاز والفيديو وأن هذه التجربة التي نستطيع ن نعيشها حية دائما من الأدلة على تقدم حاسة السمع على حاسة البصر في مجال المعرفة والثقافة .

وبعد أن بينا الدور الإعلامي لكل من هذه الوسائل الثلاث نود أن نتحدث عن كل منها من زاوية نصيب طفلنا وحظه من المعرفة والثقافة والعلم . ونرغب في أن يكون حديثنا عن هذه

الوسائل الثلاث في هذا الترتيب أ . المذياع ب . الكتاب أو الكلمة المقروءة جـ . التلفاز والفيديو ، وإنما اخترنا هذا الترتيب بناء على اتجاه التأثير من الضعف إلى القوة ..

(أ) المذياع :

قبل أن يوجد التلفاز أولا والفيديو آخرا كان حظ المذياع كبيرا من قبل المقبلين بالاستماع إليه للدرجة التي انصرف معها الكبار عن الحلقات التي كانوا يعقدونها للاصغاء إلى قارئي كتب الأدب الشعبي من أمثال سيرة عنترة وسيرة سيف بن ذى يزن ، وتغريبة بني هلال وما إلى ذلك ، والتي انصرف معها الصغار عن قراءة تلك الحكايات المستلة غالبا من كتاب ألف ليلة وليلة كقصة قمر الزمان وقصة تودد الجارية وما إليهما ، وكقصة المياسة والمقداد بن الأسود الكندي وما إليها .

إن قدرة المذياع اليوم على شد الأطفال ضعيفة لأنه يعتمد على أهم حواس المعرفة وهي الأذن وحدها . والمعروف أن هذه الحاسة توصل كل المسموع إلى الذهن وفي ذلك إجهاد له في حق الصغار بخاصة . وكان تحول اهتمام الأطفال فطريا إلى كل من التلفاز والفيديو لأنهما يعتمدان على الحاستين معا وربما قنع الطفل باستعمال حاسة البصر بشأنهما واكتفى في حق الأذن بمجرد السماع دون الاهتمام في قليل أو كثير بفهم ما يقال .

لكل هذه الأسباب انحسر دور المذياع في مجال الإعلام بشأن الأطفال . ويكاد يكون دور المذاع بارزا في مجال تلاوة القرآن الكريم في بعض البرامج القرآنية كبرنامج ناشيء في رحاب القرآن الكريم .

وأنتهز هذه الفرصة المباركة باعتباري مسئولا في جماعة تحفيظ القرآن الكريم بمكة المكرمة وفي مسابقة القرآن الكريم الدولية كي أزجى الشكر جزيلا لوزارة الإعلام ولجهاز الإذاعة والتلفاز في كل من الرياض وجدة على الاهتمام ببرامج القرآن الكريم التي تستضيف البراعم الصغيرة في جماعات تحفيظ القرآن الكريم وتشجعها وتكرمها ، وأن أزجي الشكر كذلك جزيلا لوزارة الإعلام وجهاز الإذاعة والتلفاز على استضافة كل من الإذاعة والتلفاز للشباب المسلم الواعد الذي يشترك في مسابقة القرآن الكريم الدولية التي تعقدها سنويا في مكة المكرمة وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية . والله تعالى أسأل أن يجزل المثوبة لكل العاملين المخلصين وأن يوفق الجميع للمزيد من استباق الخيرات . إنه جلّ وعلا سميع مجيب .

وحبذا لو كان ثمة تسجيلات أكثر لهذه البراعم الواعدة كي تبثها الإذاعة والتلفاز باستمرار ، وحبذا لو كان ثمة احتضان لهذه البراعم الواعدة من قبل بعض الجهات المسئولة لأنها كنوز بحاجة إلى المحافظة عليها والأخذ بيدها من أجل مستقبل عظيم بإذن الله تعالى للإسلام والمسلمين .

(ب) الكتاب أو الكلمة المقروءة :

عرفنا أن الكتاب أو الكلمة المقروءة أهم وسيلة لإدراك المعرفة والثقافة والعلم ، وقديما قال الشاعر المتنبي[(٤٩)] :

---

(٤٩) المتنبي ، أحمد بن الحسين : ديوان المتنبي بشرح العكبري جـ ١ ص ١٩٣ .

وخير جليس في الزمان كتاب

وإنما كان الكتاب أهم وسائل العلم وليس المعرفة أو الثقافة فقط لأنك أنت الذي تملكه وتتصرف معه ، وليس كالمذياع أو التلفاز الذي يملكك ولا تملكه . وإذا كان للمرء سلطة على الفيديو فقد عرفنا أن الفيديو ذاته تقف قدراته غالبا عند المعرفة أو الثقافة ، هذا بالإضافة إلى كون الكمية التي يقدمها محدودة .

وكي نعرف شيئا من الظلم الذي نلحقه بأطفالنا في مجال الأعلام بالكتاب أود أن أشير بأيجاز إلى حظ الطفل في العالم الغربي من الكتاب ومن الكلمة المقروءة والصورة المعبرة المرئية .

إنك إذا ذهبت إلى أية مكتبة معتبرة لبيع الكتب في الغرب فإنك ستتبين أن هنالك جناحين اثنين أحدهما للكبار والآخر للصغار ، كما أنك ستتبين أن أجمل الجناحين هو المخصص للأطفال . وأنت إذا أردت أن تتعلم لغة أوربية فإنك سوف تجد في مكتبة الصغار طلبك مهما كانت سنك لأنك سوف تجد كل ثقافات الدنيا وأهم ما أنتجته قرائح الأمم في هذه الأجنحة الخاصة للأطفال وقد أعيد طبع تلك الأعمال في أبهى حلة ، وفي أسلس أسلوب ، وفي ألطف حجم ، وفي أجمل رسوم وصور ! ولا ننسى أن هنالك كثيرا من المتخصصين في الكتابة للأطفال إبداعا أو إعادة للصياغة . وأن من لم يستطع أن يشتري ما يريد من كتب سوف يجد في المكتبات العامة بكل يسر وسهولة مالا يجده في المكتبات المخصصة لبيع الكتب ، ولا ننسى أن من مقومات كل حي هنالك وجود المكتبات التي فيها دائما وأبدا جناح للأطفال . إن في إمكان الكبير والصغير أن يجد في تلك المكتبات أكثر الأجواء ملاءمة للقراءة وللكتابة . وإن من أراد استعارة الكتاب أو الكتب وجد مالا حد له من التسهيل والتشجيع . ولا ننسى وراء ذلك أن فريقا من كبار الكتاب يوجهون شيئاً من نتاجهم لصالح أطفال اليوم رجال الغد .

بعد هذه الجولة السريعة في مكتبات الغرب سوف أطرح بشأن ما قدمناه لأطفالنا مجموعة من الأسئلة سأجيب عنها جميعا سلفا بالنفي : لا ! وهذه هي الأسئلة .

هل عندنا مكتبات نعني فيها بالطفل كما يعني الغرب ؟ .

هل قمنا في مجال التأليف والتبسيط والترجمة بشيء مما يقوم به الغرب من أجل الأطفال ؟ هل لدينا أجهزة لمساعدة الطفل في سبيل إيصال الكلمة المقروءة إليه ؟

هل يوجد في كل عالمنا الإسلامي عشرة من الكتاب اللامعين ولا أقول كبار الكتاب اهتموا بالطفل وتخصصوا من أجله كما يفعل الغرب ؟ .

إن في إمكانك أن تطرح عشات الأسئلة الأخرى وتكون الأجوبة عليها بالنفي . هل نلام بعد هذا كله إذا كان العالم الإسلامي قام بعملية الترجمة قبل اليابان بما يزيد على الثلاثين سنة وبعد ابتداء اليابان عصر الترجمة ومضى زهاء أربعين سنة وصلت إلى المرحلة التي نافست فيها دول

العالم المتقدم ، وتفوقت عليها جميعا حاليا ؟ إن الإنجليزي – مثلا – يضرب بالعربي المثل في الكسل وإن الأمريكي يضرب بالإنكليزي المثل في الكسل ، وإن الياباني يضرب بالأمريكي المثل – اليوم – في الكسل ! .

لقد كنت في شهر شعبان الماضي (١٤١١ هـ) في مسابقة القرآن الكريم بماليزيا وتبادلنا الحديث مع المسئولين من إخواننا الماليزيين وقد سعدنا بالنجاح الذي حققوه في الكثير من المجالات ومنها مجال السيارات ومجال الألكترونيات وسألنا عن السبب في ذلك فكان الجواب صريحا : لقد أعرضنا عن الغرب ويممنا وجهنا تجاه الشرق وسألنا اليابانيين عن سر عظمتهم فقالوا إنا يممنا وجهنا وقتا من الأوقات تجاه الغرب فضعنا كما ضعتم ثم عدنا إلى أصالتنا ففعلنا ما فعلنا ووصلنا إلى ما وصلنا إليه .

لقد فعل الماليزيون ذلك وعملوا بالنصيحة وحققوا نجاحات باهرة في العديد من المجالات وإن الأمة العربية بحاجة إلى أن تأخذ بهذه النصيحة .

إني بعد أن قلت عن الكلمة المقروءة ما قلت لا أريد التعليق فإن المطلوب منا والواجب علينا معروفان .

(ج) التلفاز والفيديو :

حينما يدخل الواحد منا على أطفاله في وقت راحتهم ولعبهم فما الذي يجدهم يفعلون ؟ يجدهم مشدودين إلى التلفاز أو الفيديو للدرجة التي أثرت على نظرهم فاستعمل أكثرهم النظارات الطبية .

وأذكر بهذه المناسبة الوصف الذي خلعه على التلفاز أحد الشيوخ الذين لا يحبون مشاهدة التلفاز حينما قال : إن هذا ليس بالتليفزيون ولكنه تلف العيون ! وقد كان .

وأنا أود أن أطرح مجموعة من الأسئلة بشأن التلفاز وشرائط الفيديو .

كم نسبة المعمول من هذه البرامج الموجهة للأطفال في البلاد الإسلامية بالقياس إلى المعمول في غير البلاد الإسلامية ؟ النسبة لاتكاد تذكر .

إن من هذه البرامج ما يوجه بلغته الأجنبية الأصلية فهل في هذه البرامج إشادة بالتعاليم الإسلامية وبالمعاني السامية العربية ؟ ليس فيها شيء من ذلك .

إذا كان بعض هذه البرامج المعمولة في البلاد الأجنبية وبلغات أجنبية قد تم تعريب لسانها فهل هذا اللسان المعرب يحمل في طياته روحا إسلامية أم أنه في أحسن صوره برنامج غير منتم . إنه في أحسن صوره برنامج غير منتم أو محايد بحيث يكون المشاهدون له المتابعون له نسخا متعددة لطبعة واحدة ، وبحيث يستوى تأثيره السلبي لدى كل المشاهدين .

إن من أحسن البرامج المعدة للطفل في عالمنا العربي برنامج « افتح ياسمسم » وقد أفصحت لبعض القائمين على شئونه بقلة المادة الإسلامية المقدمة فيه .

وحينما يسأل الواحد منا أطفاله عن الفوائد التي يجنونها من الأفلام المعربة التي يشاهدونها في التلفاز

وحينما يسأل الواحد منا أطفاله عن الفوائد التي يجنونها من الأفلام المعربة التي يشاهدونها في التلفاز أو في الفيديو لا يجد هذه الفوائد متصلة بالإسلام ولا بالعروبة وفي الإمكان النظر إلى عناوين المسلسلات المقدمة للأطفال وفحواها إنها غريبة الوجه واليد واللسان عن هذه الأمة .

وإن مما يذاع في عالمنا العربي أن ثمة ميلا لتفضيل المادة الإعلامية المستوردة ربما لقلة التكاليف بالقياس إلى النتاج المحلي . وينبغي التنبيه إلى أن البرامج المحلية وإن كانت غالية الثمن فإن مردودها الديني والأخلاقي يبرر دفع مثل ذلك الثمن الغالي .

ولأن المادة المقدمة للطفل عندنا محدودة بالقياس إلى ما يقدم للطفل مثلا في بعض الدول المجاورة نتبين حرص الأطفال هنا على متابعة برامج الأطفال التلفازية هنالك . ومن البين أن الطفل وغير الطفل يشاهد بالضرورة ما هو وراء برامج الأطفال وهي برامج تخلط عملا صالحا وآخر سيئا .

وإن مما ينبغي الإشارة إليه أن من أكثر ما يشد الصغار إلى التلفاز قبل الكبار الإعلانات التجارية . ومن البين أن الهدف الوحيد من هذه الإعلانات التجارية هو الكسب المادي ، فليس من الضروري أن يكون كل من يشاهد الشيء المعلن عنه محتاجا إليه ومع ذلك فإنه عادة يندفع إلى شرائه ، وبخاصة الأطفال ، مما له علاقة بهم ، وإلى تكديس هذه الأشياء ، وبذلك تتأكد الصفة الاستهلاكية لدى مشاهدى التلفاز ، دون أن يكون في ذلك أي عائد ثقافي أو علمي .

الخاتمة

في الصفحات السابقة تحدثنا عن الطفل وعن نصيبه من الإعلام وقد بينا أن المادة المقدمة لطفلنا إعلاميا في مجال الكلمة المسموعة والمقروءة والصورة المرئية مادة غريبة في مجموعها عن ديننا الإسلامي ومثلنا العربية ، وأن أقل هذه المواد المقدمة ضررا تلك المواد المحايدة أو غير المنتمية والتي تؤدي رسالتها في التسلية وقتل الوقت . وبهذا يتبين أن أطفالنا مظلومون إعلاميا وأنا بحاجة إلى أن تتضافر جهودنا من أجل توجيه الإعلام المقدم لأطفالنا وجهة تخدم ديننا الحنيف ومثلنا العربية . إن في استطاعة الجهات الرسمية أن تقدّم الدّعْمين المادي والمعنوي في هذا المجال للعاملين في هذه الحقول . وإن على كبار كتابنا ومفكرينا أن يخصصوا جزءا من نتاجهم الفكري لأطفالنا وأحبابنا بل إنا لنتمني أن يأتي اليوم الذي نجد فيه عددا من كبار الكتاب والمفكرين وقد تخصصوا في تقديم الفائدة والامتاع لأفلاذ أكبادنا . وإن على أصحاب رؤوس الأموال أن يعلموا أن عليهم واجبا تجاه هؤلاء الأطفال وذلك بأن يبذلوا بسخاء في سبيل جعل المادة الإعلامية السليمة الصحية تصل إلى الطفل في أنصع بيان وأبهى حلة . ان كل واحد منا حينما يعرف المسئولية الملقاة على عاتقه ويؤديها بأمانة فإنا سنكون بإذن الله تعالى قد قمنا بواجبنا تجاه أطفالنا إعلاميا وقدمنا لهم المادة التي ستجعلهم بإذن الله تعالى صورة أخرى من صبيان المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى الذين كانوا يصيحون في جيش غزوة مؤته سنة ثمان من الهجرة الذين انسحبوا وعددهم ثلاثة آلاف من أمام جيش الروم وكان عدده مائتي ألف فارس ، كانوا يصيحون : يافرار فررتم من الجهاد في سبيل الله تعالى وقد قال النبي ﷺ عنهم : « إنهم الكُرّار إن شاء الله » ثم كانت الكرّة بقيادة الشاب أسامة بن زيد رضي الله عنهما الذي انطلق بعد وفاة المصطفى ﷺ بذلك الجيش الذي عقد رايته المصطفى ﷺ بيده الشريفة قبيل وفاته عليه الصلاة والسلام .

نسأل الله تعالى أن يلهمنا جميعا رشدنا إنه جل وعلا نعم المولى ونعم النصير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

فهرست المصادر والمراجع

أولا: الكتب

- **القرآن الكريم**
- **ابن جبير** ، أبو الحسين محمد بن أحمد . رحلة ابن جبير . - بيروت ، ١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م .
- **ابن حجر** ، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني . فتح الباري بشرح صحيح البخاري . المدينة المنورة ، [د.ت] .
- **ابن كثير** ، اسماعيل بن عمر . تفسير القرآن العظيم . - بيروت ، ١٣٨٨هـ = ١٩٨٠م .
- **أبو تمام** ، حبيب بن أوس الطائي . الحماسة بشرح المرزوقي . - القاهرة ، ١٣٧١هـ = ١٩٥١م .
- **البخاري** ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل إبراهيم . كتاب الصحيح . - القاهرة ، ١٣٧٨هـ .
- **السباعي** ، مصطفى . من روائع حضارتنا . - دمشق وبيروت ، [د.ت] .
- **المتنبي** ، أحمد بن الحسين . ديوان المتنبي بشرح العكبرى . ط ٢ ١٣٧٦هـ = ١٩٥٦م .

ثانياً : الصحف

- الشرق الأوسط ، ١٤١١/٥/٥ هـ = ١٩٩٠/١١/٢٢ م ، - ع ٤٣٧٧

دور القطاع الخاص السعودي في التنمية الثقافية والاجتماعية

بقلم
الدكتور / عبد الواحد الحميد

في الثامن من أكتوبر عام ١٨٨٢ وقف رجل الأعمال الأمريكي الشهير وليم هنري فاندربلت أمام الصحفيين ليجيب على تساؤلاتهم . وعندما سئل عن أهمية خط لسكة الحديد ما بين مدينتي نيويورك وشيكاغو ومصلحة الجماهير من ذلك الخط أجاب :

« سحقا للجماهير ! إنني لا أقيم لها وزنا ، ولا أعتقد في الهراء القائل بأننا نعمل لمصلحة أحد .. إننا لا نعمل إلا لمصلحتنا نحن فقط » [(١)] .

وتعكس هذه العبارة الفهم السائد عن الهدف الرئيسي للمنشأة الاقتصادية وهو تحقيق الأرباح . وعندما نتحدث عن القطاع الخاص فإن الحديث ينصب هنا على الشركات والأفراد والمنظمات التي تقام بهدف مزاولة النشاطات الإقتصادية سعيا لتحقيق الأرباح . أما منظمات القطاع الخاص الخيرية فإنها لا تندرج في هذا التحليل لأنها تقوم أساسا على العمل الخيري وبالتالي فإن دورها هو اجتماعي بالدرجة الأولى .

الربح والمسئولية الاجتماعية

وتوجد قناعة عميقة في أوساط رجال الأعمال بأن الهدف الرئيسي لمزاولة النشاط الاقتصادي هو تحقيق الأرباح . ويعتبر عنصر « الربح » مؤشرا رئيسيا داخل اقتصاديات السوق لتوظيف الموارد المختلفة ، إذ أن وجود الربح في نشاط معين يؤدي إلى توظيف المزيد من الموارد الإقتصادية في ذلك النشاط مما يتيح لآلية السوق الحركة المرنة والسهلة دون تدخل حكومي لتحديد الأنشطة المطلوب التركيز عليها . وهذا ما يفسر إزدهار اقتصاديات الدول التي تتبع فلسفة الاقتصاد الحر .

ومن المؤكد أن عنصر الأرباح هو - بشكل عام - أهم الحوافز التي تدفع الناس لمزاولة النشاطات الإقتصادية . ولهذا ، فإنه لا يمكن التقليل من أهمية تحقيق الأرباح . ولو توقف القطاع الخاص عن تحقيق الأرباح فلن يكون في مقدوره الاستمرار في أنشطته ، مما يهدد الاقتصاد الوطني برمته .

إلا أن تحقيق أكبر قدر من الأرباح لا ينبغي أن يتناقض مع ما يعرف بـ « المسئولية الإجتماعية للمنشأة » . ولهذا يتعين تحديد هدف المنشأة الإقتصادية بأنه تحقيق أقصى درجة ممكنة من الأرباح داخل إطار ضوابط اجتماعية وأخلاقية محدده .. من بينها الالتزام بالمسئولية الإجتماعية للمنشأة .

وقد بدأ مصطلح « المسئولية الإجتماعية للمنشأة » ينتشر في الفكر الإداري والاقتصادي منذ وقت بعيد . إلا أن تعريف ذلك المصطلح لم يتبلور ولا يزال يعاني من الغموض . بل أن بعض من يستخدمونه يحاولون اعتساف تفسيرات ومعان مناقضه لما يفهم من ظاهر المصطلح .

فمثلا بالنسبة لرجل مثل ميلتون فريدمان ، وهو من دعاة الحرية الإقتصادية المتطرفة ، فإن المسئولية الاجتماعية تعني التالي :

« ... توجد مسئولية اجتماعية واحدة وواحدة فقط للمنشأة ، وهي أن تستخدم مواردها الاقتصادية وأن تنخرط في مزاولة الأنشطة التي تحقق لها المزيد من الأرباح طالما أن هذه المنشأة لا تخالف قواعد اللعبة الاقتصادية القائمة على المنافسة الحرة وعدم اللجوء إلى الخداع والغش »[٢] .

ويمضي فريدمان قائلا :

« ... إن مطالبة مسئولي المنشآت الاقتصادية بالالتزام بمسئوليات غير تحقيق أقصى قدر من الأرباح لحملة الأسهم هو أحد المفاهيم الكفيلة بهدم المجتمع الأمريكي الحر من أساسياته »[٣] .

ومع ذلك فإن أهمية المسئولية الإجتماعية قد حسمت عندما أصدرت المنظمة المعروفة بـ « لجنة التنمية الاقتصادية » تقريرها الشهير عن « المسئوليات الإجتماعية للشركات » وذلك عام ١٩٧١ م . وهذه المنظمة هى منظمة رجال الأعمال الأمريكيين وقد أنشئت عام ١٩٤٢ م .

يقول التقرير الذي يمثله وجهة نظر رجال الأعمال الأمريكيين :

« إن مساهمة الشركات في تحقيق الرفاه العام على نحو إيجابي هو من مصلحة الشركات ذاتها »[٤] .

ويمضي التقرير :

« ... عندما تعرف الإدارة المصلحة الذاتية للشركة على نحو واسع فإن هذا التعريف يستلزم مساهمة الشركة في المساعدة في حل أي مشكلة اجتماعية لأن المجتمع الذي يتمتع ببيئة طبيعية غير ملوثة بدخان المصانع ، وبقسط وافر من التعليم ، وبفرص واسعة للمشاركة ، قادر على إفراز موظفين أكفاء ومستهلكين جيدين ، أكثر من المجتمع الذي يعاني أفراده من الفقر والجهل والإضطهاد »[٥] .

وقد حددت المنظمة المذكورة العديد من المجالات التي تستطيع الشركات أن تساهم فيها ، وتحقق من خلالها مسئولياتها الاجتماعية ، ومنها :

- دعم التعليم .
- دعم الحقوق المدنية والفرص المتكافئة للجميع .
- توفير الوظائف وتدريب الراغبين في العمل .
- المساهمة في دعم الثقافة والفنون .

- دعم جهود المحافظة على البيئة .
- المساهمة في إيجاد وسائل الترفيه والترويح .
- مكافحة التلوث .
- .... وغير ذلك .

وتوجد عدة أسباب أدت إلى قبول المنشآت الاقتصادية الغربيه بمبدأ المسئولية الإجتماعية .. منها :

١ - أن الربح ، بالمفهوم الاقتصادي ، هو الفرق بين العائدات المالية من بيع السلع والخدمات ، والتكاليف التي تكبدتها المنشأة لانتاج تلك السلع والخدمات ، لكن المنشأة عندما تقيس أرباحها فإنها تركز على عائداتها المالية وعلى تكاليفها الخاصة وهي غير التكاليف الإجتماعية أي التكاليف التي يتكبدها المجتمع .

وعلى سبيل المثال فإن صاحب المصنع يقيس تكلفته على أنها أجور العمال وأثمان المواد الخام التي استخدمها في الإنتاج وما إلى ذلك .. ولكنه لا يضيف إليها التكلفة الاجتماعية التي تكبدها المجتمع والمتمثلة مثلا بالتلوث والتدمير البيئي الناجم عن المصنع .

ومثال آخر .. فإن الشركات الزراعية عندما تقوم باحتساب تكاليفها فإنها أيضا تركز على ما يعرف بالتكاليف الخاصة .. فالماء - مثلا - تحتسب تكلفته بمقدار ما تدفعه الشركة من وقود لمكائن الضخ وأجور العمال ونحوه بينما توجد تكلفة اجتماعية باهظة لا تقوم الشركات باحتسابها ألا وهى حرمان الأجيال القادمة من الاستمتاع بنفس المستوى من وفرة المياه باعتبارها مورد ناضب .

وإذن فإن الاختلاف بين التكاليف الخاصة والتكاليف الاجتماعية يحتم على الشركات أن تقوم بتعويض المجتمع وهذا مبدأ اقتصادي معروف . ويمكن أن تعوض الشركات المجتمع عن طريق المساهمة في التنمية الاجتماعية والثقافية .

٢ - لقد تطورت المجتمعات وأصبحت تطالب بالكثير من الحقوق التي لم تكن تثار في السابق . وأصبحت المجتمعات تدرك أن الشركات إنما تصنع أرباحها من خلال إقبال المجتمع على منتجات تلك الشركات .. وبالتالي فإن الشركات لا تستطيع أن تستمر في أعمالها مالم يكن هناك إقبال من المجتمع على إنتاج تلك الشركات . لذلك أصبحت تتنافس على الفوز برضا المجتمع من خلال التقرب إلى المجتمع وتقديم صورة براقه عن نفسها كي تحوز على رضا الناس وإقبالهم على شراء منتجاتها .

وهكذا فإن الشركات نفسها بدأت تتنافس فيما بينها للمساهمة في التنمية الإجتماعية والثقافية . وفي السابق كانت الشركات تفرض ساعات عمل طويلة مقابل أجور زهيده مستغلة ظروف البطالة في المجتمعات الغربية إلا أن الوعي الاجتماعي والضغوط التي تولدت من ذلك فرضت على الشركات خفض ساعات العمل والإلتزام بحد أدنى من الأجور لا يمكن أن تنخفض عنها مهما كانت ظروف البطالة .

هذه الضغوط الإجتماعية أدت إلى أن تبحث الشركات عن منافذ تحرص من خلالها على اكتساب تعاطف الناس ورضاهم .. ولاشك بأن التنمية الإجتماعية والثقافية هي أحد المنافذ .

لقد أصبح رجال الأعمال يبحثون عن الوسائل التي تقربهم من الناس ... وعلى سبيل المثال فقد كان رجل الأعمال الشهير روكفلر (الكبير) مكروها من الناس بسبب الممارسات الاحتكارية التي تقوم بها شركاته .. وعندما تفاقمت هذه الحالة لجأ إلى خبير العلاقات العامة الشهير إيفي لي **IVY LEE** لكي يبتكر له طرق تحبب الناس إليه .. فصمم له « إيفي لي » برنامجا لحل المشكلة التي يعاني منها .. وكان هذا البرنامج يشتمل على تقديم التبرعات الخيرية ، وتقديم المنح الدراسية للطلاب المتفوقين ، ومساهمات إجتماعية وثقافية أخرى [٦] .

٣ - يدرك رجال الأعمال أنهم جزء من المجتمع الذي يعيشون فيه ، وبالتالي فإن مساهماتهم في تنمية المجتمع ثقافيا واجتماعيا لابد وأن تنعكس بالإيجاب على المنشآت التجارية نفسها .. ولهذا اندفع رجال الأعمال في الغرب إلى المساهمة في المشاريع الخيرية الإجتماعية ، وتقديم المنح الدراسية ، وإقامة الجوائز التشجيعية ، وغير ذلك .

القطاع الخاص السعودي والمسئولية الاجتماعية

وعندما نتحدث عن دور القطاع الخاص السعودي في التنمية الثقافية والاجتماعية ، فإننا ننطلق من نفس المصطلح المشار إليه سلفا وهو « المسئولية الاجتماعية للمنشأة » فإذا كان القطاع الخاص في الولايات المتحدة ، وهي معقل النظام الرأسمالي ورافعة شعار الاقتصاد الحر ، قد قبل بمبدأ المسئولية الاجتماعية للمنشأة ، وبدأ يساهم في الجوانب الاجتماعية والثقافية فإن القطاع الخاص في المملكة العربية السعودية ينبغي أن يكون أكثر اندفاعا في هذا المجال بسبب الإطار الفلسفي الخاص الذي يحكم هذا القطاع في بلادنا وهو الإطار المنبثق من الدين الإسلامي .

وعندما نقيم المقارنة بين القطاع الخاص في المملكة والقطاعات الخاصة في الدول الأخرى وبالذات الدول غير الإسلامية فإننا نلاحظ التالي :

١ - إذا كان هدف المنشأة التجارية الأساسي في المجتمعات التي تعتنق الفكر الاقتصادي الغربي هو تحقيق الربح الأعظم ، فإن دور المنشأة الاقتصادية في المجتمعات الإسلامية يزاوج بين هدفين أساسيين هما :

(أ) تحقيق الأرباح .

(ب) تحقيق الأعمال الصالحة .

حيث استنبط علماء الاقتصاد الإسلامي هذا المبدأ من قوله تعالى (في سورة الكهف) : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً** ﴾ ، وقوله تعالى (في سورة المنافقون) : ﴿ **وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ ولذلك يرى الدكتور مختار محمد متولى [٧] أن دالة المنفعة للمنشأة الإسلامية هي :

$$Y = F (N,G)$$

حيث :

N : مستوى الأرباح الصافية بعد دفع المستحقات الواجبة على المنشأة (كالزكاة والضرائب) .

G : الانفاق على الصدقة أو الأعمال الصالحة .

٢ - إذا كان القطاع الخاص الغربي قد توصل إلى ضرورة الإلتزام بالمسئولية الإجتماعية للمنشأة ، فإن القطاع الخاص السعودي مطالب بالالتزام بتلك المسئولية بشكل أكبر وذلك بسبب الدعم الكبير الذي يتلقاه القطاع الخاص من الدولة .

فالدولة تقدم القروض المختلفة للاستثمار الزراعي والصناعي والعقاري كما أنها تعفي القطاع الخاص من الضرائب وتقدم تفضيلات شرائية للقطاع الخاص ، كما أنها تقدم الكثير من التسهيلات المختلفة .

هذه المزايا لا يتمتع بها القطاع الخاص في الدول الأخرى ، ومع ذلك فقد اعترف القطاع الخاص بالمسئولية الاجتماعية للمنشأة وترتب على ذلك أن قام ذلك القطاع بالكثير من المساهمات لدعم التطور الثقافي والاجتماعي .

من هنا فإن القطاع الخاص السعودي مطالب بأن يقوم بالمثل ، إن لم يكن أكثر . والسؤال المطروح هو :

هل قام القطاع الخاص السعودي بدوره المطلوب في التنمية الثقافية والاجتماعية ؟

إن الشواهد القائمة تقدم دلالات متناقضة فبعض شركات القطاع الخاص تقدم دعما في الجوانب الاجتماعية الخيرية ، مثل التبرع للجمعيات الخيرية كذلك تساهم بعض الشركات في دعم النشاطات الثقافية والتعليمية ، ومن أمثلة ذلك مساهمات بنك الرياض ورجل الأعمال الأستاذ عبد المقصود خوجه في إقامة الأمسيات الثقافية وتقوم شركات أخرى بتقديم فرص لتدريب الطلبة وتبرعات للهيئات العلمية ، ومن أمثلة ذلك التبرعات التي تحصل عليها بعض الجامعات السعودية لشراء أدوات علمية .

ومن الصعب أن نقدم حكما قاطعا على القطاع الخاص السعودي من خلال الشواهد السابقة التي تمثل جملة من الملاحظات العابرة ، إلا أن الدراسات العلمية الموثقه ، هي الأخرى لا تقدم حكما قاطعا . وقد قام الدكتور محمد بن إبراهيم التويجري (٨) بإعداد دراسة اشتملت على عينة مكونة من ١١٠ منشآت موزعة كالتالي : ٤٥ منشأة في قطاع الخدمات و ٦٥ منشأة في قطاع الصناعة وعند تحليل البيانات الخاصة بالعينة وجد الباحث أن إسهام المنشآت يتركز بالدرجة الأولى على المساهمة في أسبوع المرور وأسبوع الشجرة والتبرعات الخيرية .

أما أقل الإسهامات نصيبا فقد كان المشاركة في معارض الكتب ، والمشاركة في تزيين المدينة .

وبالنسبة لأولوية الأهداف وجدت الدراسة أن ٥١٪ من الشركات تركز على الأهداف المالية ، بينما لا تركز إلا ٩٪ من الشركات على المساعدة الاجتماعية كما توصلت الدراسة إلى أن ٩٨٪ من الشركات لا توجد لديها دوائر مختصة للمسئولية الاجتماعية ووجدت أن ٩٩٪ من المنشآت ليس لديها وسائل لتوظيف ذوي العاهات .

أما النتيجة الإيجابية الرئيسية التي توصلت إليها الدراسة فهي أن ٧٥٪ من المنشآت تطبق

المواصفات والمقاييس التي تقررها الجهات الرسمية ، وأن أكثر من ٨٠٪ من المنشآت تحاول تطبيق أحسن الطرق للمحافظة على البيئة كما أن أكثر من ٩٠٪ من المنشآت تبذل جهدا لتوعية المستهلك بدوره في المحافظة على البيئة [٩] .

وبشكل عام فإن هذه النتائج لا ترتفع إلى المستوى المرجو وذلك بالمقارنة بالمنشآت الغربية عندما نضع كل واحده من هذه المنشآت في الإطار الخاص بها .

توصيات ومقترحات

١ - ينبغي أن تبادر المنشآت إلى تبني فكرة « البيان الختامي الاجتماعي » Social Audit على غرار ما تقوم به بعض المنشآت الغربية .

و « البيان الختامي الاجتماعي » انبثقت فكرته في الولايات المتحدة عام ١٩٤٠ م حيث اقترح تيودور كريز [١٠] في دراسة خاصة بالتحريات التي كان يجريها الكونجرس الأمريكي عن النفوذ الاقتصادي للشركات بأن تعد الشركات بيانا ختاميا اجتماعيا جنبا إلى جنبا مع بياناتها الختامية المالية ويتم فيه قياس أدائها الاجتماعي سلبا وإيجابا .

٢ - ينبغي أن تربط الدولة معوناتها للقطاع الخاص بمقدار التزام المنشآت الاقتصادية المختلفة بمسئولياتها الاجتماعية .. بحيث تحظى المنشآت التي تلتزم بمسئولياتها الاجتماعية بمعاملة تفضيلية .

وفي تقديري أن توظيف الشباب السعودي لدى القطاع الخاص ينبغي أن يكون أحد معايير النهوض بالمسئولية الاجتماعية .

كذلك ينبغي أن يكون إثراء الحياة الثقافية للوطن أحد مقاييس المسئولية الاجتماعية .

من الكتب الواردة حديثاً لدار الجوف للعلوم

إعداد قسم التزويد بالدار

استمراراً لخطة « الجوبة » في الاهتمام بتزويد القراء الأعزاء بنبذة مختصرة عن بعض ما ورد للدار من كتب حديثة ، فإنه يسر قسم التزويد أن يستعرض عدداً من هذه الكتب :

هدير الغضب في أدب حرب الخليج / تأليف : سليمان الأفنس الشراري . – الرياض : مطابع الفرزدق ، ١٤١١ هـ . ٩١ ص .

يهدي الأستاذ سليمان الشراري كتابه إلى خادم الحرمين الشريفين حفظه الله قائلا في المقدمة « إلى فراسة المؤمن الذي ينظر بنور الله فيلهمه الله رشده ويعز بالنصر جنده » .

كذلك يهدي كتابه إلى الشهداء والأبطال الأبرار الذين بذلوا أرواحهم ابتغاء وجه الله وإلى كل الشعوب الشقيقة والصديقة .

كما يهدي هذا العمل الجيد إلى الأم السعودية التي بثت في أبنائها روح الرجولة والبطولة ، كذلك إلى كل أديب وشاعر ذي قلم نزيه وفكر نبيه ساهم في المعركة بسلاح الكلمة حتى حقق الله النصر لعباده المؤمنين ، قدم سليمان كتابه هذا . والكتاب من القطع الصغير يتضمن تمهيدا يستعرض فيه المؤلف صدى الاحتلال العراقي الغاشم لأرض الكويت وما انبرت إليه الأقلام والقرائح وألسنة الفصاحة والبيان من إدانة للمعتدي الأثيم .

ثم استعرض يومياته الخاصة بحرب عاصفة الصحراء على شكل مقالات قصيرة اختار لها عناوين مثل :

العطاء عن سعة – بحب الله – طبيعة الفارس وأريحية المؤمن – تضحية ... وإيثار ، رحابة قلب – مولود سعيد – وبشر المؤمنين – ارتفعي .. ارتفعي للأعلى يارابة « لا إله إلا الله » – نبلاء حتى في المحنة – جنودنا أكبادنا .

وبعد ذلك ينتقل سليمان الشراري إلى دراسات في أدب حرب الخليج كما سماها باستعراض لشعر الدكتور غازي القصيبي في أزمة

الخليج مستشهدا بنماذج من شعره في هذا المجال كما يستعرض موقف المرأة السعودية وفلسفة الألم في أحداث الخليج من خلال القصة القصيرة .

عاصفة الصحراء / تأليف : د. صلاح قبضايا .
لندن : الشركة السعودية للأبحاث والتسويق الدولية ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ٣٠٥ ص

يعرض المؤلف في كتابه لوصف المعركة ومراحل سير القتال منذ بدء عملية عاصفة الصحراء فجر الخميس ١٩٩١/١/١٧ م وحتى فجر الخميس ١٩٩١/٢/٢٨ م عندما تمت السيطرة على الكويت وتحريرها وتطهيرها .

كما يتعرض الكتاب أيضا لأصول المسألة الكويتية والأسباب والدوافع التي كانت وراء تطور الأمور من أزمة حدود وخلافات عربية معتادة إلى حرب قاسية كان الخليج مسرحا لأحداثها الخطيرة .

ويقع الكتاب في ٩ فصول هي على التوالي :

المعارك الصاروخية - الحشد العسكري - المسألة الكويتية - المسرح الكويتي - مفاجآت صدام - الهروب إلى الأمام - المشاهد العشرة - التراجع العراقي - مرحلة الحسم .

وفي نهاية الكتاب توجد مجموعة من الصور والخرائط ذات الصلة بالموضوع .

العراق دولة المنظمة السرية / تأليف : حسن علوى . - جدة : الشركة السعودية للأبحاث والنشر ، ١٩٩٠ م ، ١٩٦ ص

يتحدث المؤلف في الفصل الأول من كتابه عن جذور المنظمة العراقية من حيث التبشير السري ولغته وسداسية القيادة . ثم يتبع ذلك في الفصل الثاني بالحديث عن سلطة المنظمة الأولى وظهور سلطة القرية وصدام حسين و ٨ شباط .

وفي الفصل الثالث يلقي الضوء على كيفية انهيار الدولة العراقية ودور نورى السعيد وتقاليد المنظمة السرية والانقلابات العسكرية ، ثم تجربة صدام حسين مع الجيش وأغرب قوانين المنظمة وبرلمانها .

ويخصص الفصل الرابع للحديث عن الأب الروحي والابن البار كما سماه المؤلف وهو ميشيل عفلق وهل هو مفكر مسيحي أم مستشرق وكيف كان تبشيره بالدكتاتورية وما نتج عنها من ذبح للمؤسسين .

وفي الفصل الخامس يتحدث حسن علوى عن تحالفات المنظمة السرية ويفرد الفصل السادس لبساسات المنظمة السرية . وفي الفصل السابع يبين المؤلف لماذا غزا العراق الكويت وفي الفصل الثامن يضع حسن علوى عنوانا للمنظمة هو منظمة الموت .

وأخيرا في الفصل التاسع يورد المؤلف معلومات عن بعض رجال المنظمة مثل أحمد حسن البكر ، وشفيق الكمال ، وعبد الخالق السامرائي وغيرهم .

من وحي الفاجعة : خمسون طلقة شعرية في وجه العدوان / إعداد / نادي أبها الأدبي . - أبها : مطابع مازن ، ١٤١١ هـ ٩٦ ص

وتستعرض إدارة النادي في مقدمة الكتاب في كلمات موجزة الهدف من هذا الإصدار الذي

يمكن إيجازه من خلال تلك النقاط التسع الواردة في مقدمته .

١ – موضوع هذا الإصدار انعكاس لآثار العدوان العراقي الغاشم على دولة الكويت الشقيقة في ١١ محرم ١٤١١ هـ الموافق ٢ أغسطس ١٩٩٠ م وما رافق ذلك الغزو من انتهاكات صارخة لقيم الإنسان المسلم وتهديد لحدود المملكة وسيادتها .

٢ – المسافة الزمنية لولادة قصائد هذه المجموعة من ١١ محرم [illegible] ٣٠ صفر ١٤١١ هـ وقد رتبت أسماء الشعراء أبجديا خروجا من حرج أي اعتبار .

٣ – يأتي هذا الإصدار من منطلق رسالة النادي الأدبي في توثيق إنتاج الأصوات الإبداعية المسؤولة التي تحمل هم هذه الأمة وشارك في رسم واقعها واستشراف مستقبلها .

٤ – هذه المجموعة الشعرية التي يشترك فيها خمسون شاعرا موضوعها واحد وإن اختلفت القرائح والقوافي وهو ما يسوغ ضمها بين دفتي إصدار .

٥ – أثبتت الكلمة الصادقة من خلال محتويات هذه المجموعة أنها أعم تأثيرا وأثبت أثرا من الرصاصة .

٦ – اكتفينا بنشر قصيدة واحدة لكل شاعر رغم أن أغلب هؤلاء الإخوة الشعراء قد نشر عددا من القصائد المعبرة بل ربما أصدر بعضهم ديوانا كاملا لفظاعة الحدث – وذلك لأننا لا يمكن أن نحيط بكل ما صدر على الأقل في هذه المرحلة – وإنما يمثل هذا الاصدار نموذجا أوليا للصوت السعودي المسؤول المنطلق من العمق الإيماني المتألم .

٧ – هذه المجموعة الشعرية خطوة أولى يمكن أن تضاف إليها خطوات في إطار توثيق الأعمال الإبداعية التضامنية – وهي في الوقت نفسه باقة تعبر عن عمق التلاحم والإنتماء والإنصاف للحق والعدل .

٨ – هناك شعراء من الأقطار العربية الأخرى لم تتمكن من نشر مشاركاتهم ضمن هذا الإصدار ويمكن أن ينفرد لابداعاتهم إصدار آخر سواء عن نادي أبها أو سواه مستقبلا بإذن الله .

٩ – مصادر هذه القصائد إما من الشعراء أنفسهم وإما بعد نشرها على صدر صفحات الصحف السعودية .

مكتبات الأطفال / تأليف : د . محمد فتحي عبد الهادي وآخرون . – القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٨ م . ٢٢٣ ص

الكتاب يعتبر في غاية الأهمية بالنسبة للأطفال ، فهم عَمَدُ المستقبل ورجاله وبقدر العناية بهم ورعايتهم وتوفير سبل الحياة لهم بقدر توقعنا لمستقبل زاهر لأمتنا . وقد أورد المؤلفون في مقدمتهم ذلك منوهين إلى أن هناك عدة وسائل وأساليب وأجهزة وجدت لتخدم الطفل ، إلا أن المكتبة بالتأكيد هي من أهم هذه الوسائل ومن أبقاها أثرا .

والكتاب يستعرض الخدمات المكتبية للأطفال

من حيث المباني والتجهيزات ، وإعداد أخصائيو مكتبات الأطفال ، كتب الأطفال ، أهميتها ، ونوعيتها وإنتاجها ، مجموعات المواد بمكتبات الأطفال ، تصنيف كتب الأطفال ، خدمات وأنشطة مكتبات الأطفال ، الطفل والقراءة ، الضبط الببليوجرافي لأدب الأطفال .

وفي نهاية الكتاب توجد دراسة تحليلية للإنتاج الفكري العربي .

مطلات على الداخل (مجموعة أقاصيص) / تأليف : علوي طه الصافي . — ط ٢ . — الرياض : الصافي للثقافة والنشر ، ١٤١٠ هـ الطبعة الثانية ، ١٠٥ ص

يذكر الأستاذ علوى الصافي في مقدمته لهذه المجموعة القصصية – التي تحمل الرقم « ٦ » ضمن سلسلة القصة والرواية – بأنها بعض شرائح إجتماعية وحالاتٍ نفسية كان قد كتبها في فترة من الفترات دون أن يخطط لها أو يضعها في إطار شكل محدد من الأشكال الفنية فكانت على حد قوله : (مطلات) على أعماق النفس والمجتمع .

ويكفي أن نورد هنا بعضاً من آراء النقاد الذين اعتبروا الكتاب يمثل لوحات فنية تصلح لتعلق في مشجب البيت أو الوطن العربي الكبير ، حيث يمكن اعتبارها ست وثلاثون لوحة استمد الأستاذ الصافي مادتها الفنية من بيئتين اجتماعيتين مختلفتين :

الأولى تجسد حياة القرية أو الريف المتمثل في منطقة جيزان .

والثانية تجسد حياة المدينة الكبرى والمتمثلة بالعاصمة الرياض .

وهي تعتمد على عناصر أساسية مثل الحدث ، ورسم الشخصية ، واللغة والحوار ...

تعليم البنات بين ظواهر الحاضر ومخاطر المستقبل / تأليف : أحمد محمد جمال . — الطائف : دار الحارثي للطباعة ، ١٤٠٩ هـ . ١٢١ ص

يذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه خلاصة لمحاضرة قام بإلقائها في كلية الشريعة بالرياض بدعوة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في عام ١٣٩٨ هـ .

ويستعرض الأستاذ أحمد جمال في تلك المقدمة توقعاته المستقبلية لتعليم البنات ، وما بدا في الأفق من مشكلات مثل الطلاق ، وإحجام الذكور عن الزواج من الجامعيات خشية الكبرياء والغطرسة كذلك تحدث عن ظاهرة العنوسة وأسبابها ونتائجها ، كما استعرض ظاهرة إهمال الزوجات العاملات لبيوتهن وأولادهن وأزواجهن وظاهرة وجود الخادمات الأعجميات وغير المسلمات والأثر السيئ لتربية النشء بواسطتهن .

كما ضم الأستاذ جمال إلى محاضرته المنشودة في هذا الكتاب حوار جرى بينه وبين طالبات ومدرسات كليتي التربية للبنات بمكة المكرمة وجدة .

وأضاف المؤلف فصلا خاصا ضمنه عبرا ودروسا من تجارب الأمم والمجتمعات العربية والأوربية التي سبقتنا إلى تعليم المرأة وتوظيفها وما تعانيه من مشكلات وأزمات بسبب عدم التوفيق بين مسئولية المرأة كزوجة وأم وبين واجباتها الوظيفية خارج البيت .

ويقول الأستاذ أحمد جمال في الفصل الأول من كتابه ص ١٣ بأن عنوان المحاضرة قد يوهم المستمع إلى أنه يعارض تعليم المرأة وتشغيلها خارج البيت فيما تستطيعه ، وما يتفق مع طبيعتها الرقيقة ولا يخالف شرع الله لها من حجاب وآداب ، ومخافة من هذا الايهام الذي قد يحدثه عنوان المحاضرة فقد بدأها بالقول :

بأنه في كل ما كتب وما تحدث به عبر أجهزة الاعلام كان ومازال يدعو إلى تعليم المرأة وتوظيفها في أعمال مناسبة للطبيعة وآداب الشريعة .